جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

من وجوه التناسب

فى

فاتحة الكتاب

الدكتور

رضا السعيد فايد

المدرس بقسم "البلاغة والنقد"
بكلية اللغة العربية - إيتاي البارود

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ
نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ
أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدا يبلغ رضاه، وأشهد ألا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهـم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونـصروه واتبعـوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون، اللهم آمين.

وبعـد:

فإن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته من الحكيم، وفصلت آياتـه مـن الخبـير، قـال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هـود " ١ " فجعـل إعجـازه موصولا بعطاء من الله وعطاء الله لاينفذ أبدا، ولذلك كان القـرآن الكريم ـ ولايزال ـ قبلة الباحثين ومقصد الدارسين على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم يتناولون جوانـب إعجـازه التى هى ظل ممدود لا قاطع لها ولا ممنوع.

وأسهم علماء البلاغة الأولياء إسهاما جليلا فى خدمة القرآن الكريم، فـذخرت المكتبـة العربية بالعديد من الدراسات الربانية التى تناولت بلاغة القرآن الكـريم ولما كانـت هـذه البلاغة من فيوضات الخالق ـ سبحانه ـ فإن الإنسان مهما أوتى من عقل وتسلح بعلم يظل عاجزا أمامها؛ فهـذه البلاغـة مـن صـنع الله (ﷻ) ومـا كـان مـن صـنع الله تـضيق مـوازين الإنسان عن وزنه، وتقـصر مقاييسه عـن قياسـه، فـنحن لانـدرك كنهـه وإنـما نـدرك أثـره، ونحن لا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره، وهـل يـدرك المرؤ مـن آثـار الـشمس غـير الـضوء

والحرارة؟! وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة؟! وهل يجد فى نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة[1].

هذا وقد تسلحت بسلاح الخشوع إلى الله مستعينا بجنابه داعيا ربى ألا يطردنى من رحابه، فجئت على أعتاب الدراسات البلاغية للقرآن الكريم منكسا رأسى مقدما رجلا ومؤخرا أخرى لعظم المسئولية والتبعات، وحسبى حبى لبلاغة القرآن، فكان هذا البحث الذى يتناول علم المناسبات القرآنية من خلال فاتحة الكتاب وقد جاء بعنوان:

" من وجوه التناسب فى فاتحة الكتاب "

وقد اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب أوجزها فيما يلى:-

أولاً: علم المناسبات يعين على تدبر القرآن الكريم وفهمه فهما منضبطا من خلال سياق الآيات ومقاصد السور، وأهدافها،و صلتها بالسياق القرآني العام.

ثانياً: هذا الموضوع يفيد فى بيان لحمة التناسب الواصلة بين كل سور القرآن الكريم وآياته، وفى ذلك رد مكين على شبهة طالما أثارها الحاقدون من كون القرآن فيه نقص وغير مرتب، على ما سنذكر إن شاء الله[2].

ثالثاً: أردت من خلال هذا البحث تثوير هذا الجانب الإعجازي للقرآن الكريم ليتسع تطبيقه على كل سور القرآن الكريم.

رابعاً: اخترت سورة الفاتحة لإبراز وجوه التناسب فيها؛ لأن هذه السورة على قصرها ووجازتها جمعت مقاصد القرآن الكريم كله كما أن وقوعها فى

---

(١) وحى الرسالة أ/ أحمد حسن الزيات جـ٣ ص ١٠٥، دار الثقافة ـ بيروت ط السادسة ١٩٧٣م .

(٢) ينظر ص ٦٩ من هذا البحث.

مفتتح كتاب الله أعطاها وجوها من وجوه التناسب لا يتحقق لسورة غيرها على النحو الذى سنوضحه.

وقد جاء هذا البحث فى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة: المقدمة وتحدثت فيها عن الموضوع وأسباب اختياري له والمنهج المتبع فيه.

التمهيد وقد بينت فيه تعريف التناسب وأهيمته ونشأته وفوائده.

الفصل الأول: وجوه التناسب الداخلية فى سورة الفاتحة

وقد جاء فى عدة مباحث:

المبحث الأول: التناسب بين اسم السورة ومضمونها .

المبحث الثانى: التناسب بين مطلع السورة ومضمونها.

المبحث الثالث: التناسب بين آيات السورة .

الفصل الثانى: وجوه التناسب الخارجية فى سورة الفاتحة

وقد جاء فى عدة مباحث:

المبحث الأول: التناسب بين الفاتحة والقرآن الكريم كله.

المبحث الثانى: التناسب بين الفاتحة والقرآن المكى " الفاتحة فى سياقها النزولى "

المبحث الثالث: التناسب بين الفاتحة وسورة البقرة.

المبحث الرابع: التناسب بين الفاتحة و السور المفتتحة بـ " **الحمد لله** " .

المبحث الخامس: التناسب بين الفاتحة وسورة الناس.

ثم **الخاتمة** وذكرت فيها أهم النتائج.

هذا وأرانى متضرعا إلى الله بما تضرع به الإمام أبو السعود العمادى حيث قال: " فيامن توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع، ورفعت أيدى الضراعة والسؤال إلى جنابه الرفيع، أفض علينا من شوارق أنوار التوفيق وأطلعنا على دقائق أسرار التحقيق وثبت أقدامنا على مناهج هداك، وأنطقنا بما فيه أمرك ورضاك ولاتكلنا إلى أنفسنا فى لحظة ولا آن، وخذ بنا حينا إلى الخير حيث كان، جئناك على حياه الاستكانة ضارعين لأبواب فيضك قارعين " (١) فاللهم استجب دعاءنا يا رب العالمين.

(١) تفسير أبى السعود جـ١ ص٦، دار إحياء التراث العربى بيروت، لبنان ط الرابعة ١٩٩١م.

التمهـــيد ويتناول:

١- تعريف التناسب.

٢- فائدة التناسب وأهميته.

٣- تناول العلماء للتناسب.

٤- وجوه التناسب في سور القرآن الكريم.

أولاً: تعريف التناســـب:

ـ التناسـب لغـــة:

النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شئ بشئ، ومنه النسب سُمى لاتصاله وللاتصال به[١]، والمناسبة المقاربة، وناسبه شاركه فى نسبه، وفلان يناسب فلانا فهو نسيبه، أى قريبه[٢].

ـ التناسب اصطلاحا:

تنوعت أقوال العلماء فيه وإن كان جميعها ينتهى إلى معنى واحد، فقد ذكر البقاعى أن التناسب علم تعرف به علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها[٣].

وذكر القاضى أبو بكر بن العربي، أن التناسب هو ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى[٤].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص١٢٥ ت/ شهاب الدين أبوعمرو، ط دار الفكر العربي بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة"نسب"ط دار صادر بيروت.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام القباعى جـ١ ص ٥ دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٩٥م.

(٤) ينظر: البرهان فى علوم القرآن ٠ الإمام الزركشى جـ١ ص ٣٥ ومابعدها ت أ/ محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

وقال السيوطى: " المناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها فى الآيات ونحوها إلى معني رابط بينهما عام أو خاص، عقلى أو حسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " (١)

والملاحظ من التعريفات السابقة أن التناسب يعني بإبراز وجه الارتباط والاعتلاق فى كافة مستويات الأداء القرآني وصولا إلى الوحدة الموضوعية التى تجمع القرآن الكريم كله.

* التناسب عند علماء البلاغة:

التناسب بهذا المعني السالف الذكر نراه ينظر إلى وجه الارتباط بين الآى، ووجه الارتباط بين السور وبيان العلاقة بين مطالع السور وخواتيمها إلى غير ذلك من وجوه التناسب.

والتناسب بهذا المعني الشامل مستقى من التراث البلاغي الأصيل، ولو نظرنا إلى عنوان كتاب الإمام البقاعى: " نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور " لاتضح لنا أن الكتاب يقصد إلى بيان أمرين:

الأول: تناسب الآيات: وهذا التناسب أشبعه علماء البلاغة درسا وبحثا فتحدثوا عن مناسبة اللفظ للفظ والمعني للمعني من خلال حديثهم عن مراعاة النظير(٢).

---

(١) معترك الأقران فى إعجاز القرآن الإمام السيوطى جـ١ ص ٥٧ ت/ أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: الإيضاح للخطيب القزوينى جـ٦ ص ١٩ ت / د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الجيل بيروت ط الثالثة .

كما تحدثوا عن المناسبة التى تكون بين بدأ الكلام وختامه من خلال حديثهم عن تشابه الأطراف[1]، وغير ذلك من وجوه التناسب المبثوثة فى كتب البلاغة.

ثم كانت نظرية النظم التى جمعت عديدا من وجوه التناسب، إذ اقتفى الإمام عبدالقاهر من خلالها آثار المعانى وترتيبها حسب ترتيب المعانى فى النفس وجعل بعضها بسبب من بعض مع مراعاة قواعد النحو[2].

وهذا هو التناسب بصورة أوسع وأشمل.

الأمر الثانى: تناسب السور:

ويبحث فيه أوجه الربط والتناغم بين السور القرآنية من خلال بيان علاقة السورة بالسورة السابقة واللاحقة، وقد يذكر مع ذلك أيضا بيان ارتباط مطلع السورة بمقاصدها، ومطلع السورة بخاتمتها، وكذلك التناسب بين اسم السورة ومضمونها.

والتناسب بهذا المعنى دائرته أوسع وأشمل، من التناسب الذى عرفه البلاغيون، ولذا يمكن القول بأن علماء علوم القرآن أخذوا فكرة التناسب البلاغية ووسعوا مفهومها ودائرتها لتشمل جوانبا أخرى تسرى فى سور القرآن الكريم كله، ليتحقق بالدليل بيان الائتلاف بين كل سور القرآن وأنه من أوله إلى آخره فى حكم الكلمة الواحدة، وهذا هو حال القرآن الكريم " فالقرآن تقرءوه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوى الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض فى سوره وآياته وجمله يجرى دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد، وعقد

(١) ينظر: الإيضاح جـ٦ ص ٢١ .

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجانى ص ٣٦، ت/ الشيخ محمود شاكر ، مكتبة الخانجى ط١ الخامسة ٢٠٠٤م.

فريد يأخذ بالأبصار نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته وجاء آخره مساوقا لأوله، وبدا أوله مواتيا لآخره "(١).

ثالثاً: فائدة التناسب وأهميته:

تثوير هذا الموضوع والأخذ بأدواته يساعد على الفهم الواعى والشامل لمعطيات المعنى القرآنى، كما أن إبراز التناسب بهذا المعني يكشف عن مراتب أخرى للإعجاز البلاغي، يقول فخر الدين الرازي فى ختام تفسيره لسورة البقرة: " ومن تأمل فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك "(٢).

ودراسة التناسب بهذه الكيفية فيه رد لشبهة طالما أثارها بعض المستشرقين وأعداء الإسلام حيث زعموا أن آيات القرآن لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق وأوصوا بإعادة ترتيب القرآن وكأن ذلك يعنيهم ويهمهم يقول المستشرق الفرنسى " بلاشير: " إن إعادة ترتيب السور الذي اقترحه " نولدكه " ينال هنا كامل الأهمية، إنه يلقى على المصحف أضواء مطمئنة، ويرد وضع النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك لكونها مقرونة إلى السياق التاريخى المعقول "(٣).

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن. الشيخ/ محمد الزرقاني جـ١ ص ٥٣، دار الكتاب العربي ط أولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

(٢) مفاتيح الغيب للإمام الرازى جـ٤، ص ١١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة.

(٣) القرآن نزوله تدوينه، ترجمته وتأثيره بلاشير ص٣٣، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط أولى ١٩٧٤م.

فبلاشير ينوه بما فعله " نولدكه " من إعادة النظر فى ترتيب سور القرآن وفق ترتيب النزول ويرى أن ذلك يرد النص القرآني إلى آفاق سهلة الإدراك، وهذا حمق بين.

وزعم آخرون بأن القرآن ناقص وأن كثيرا منه قد ضاع لأنه لم يجمع فى عهد محمد (ﷺ) وآخرون يرون أن من قام بجمع القرآن بعده قد زاد فى القرآن آيات لم تنزل على رسول الله (ﷺ) كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا[1].

ومن هنا تبرز أهمية دراسة التناسب إذ فيه رد مكين على هؤلاء الحقدة والمزيفين، فمن خلال التناسب يتبين دقة وانسجام كافة مستويات الأداء القرآنى: الآية والآيات، والسورة، والسور كلها بعضها مع بعض،وذلك يدحض فرية اضطراب الترتيب أو الزيادة والنقصان.

قال الشيخ سعيد حوى (رحمه الله): " ودندن علماؤنا حول الصلة بين آيات السورة الواحدة، وحول الصلة بين سور القرآن، وحول السياق القرآنى، وجاءت النصوص تتحدث عن أقسام القرآن: قسم الطوال، وقسم المئين، وقسم المثانى، وقسم المفصل، ولم يستوعب أحد من المؤلفين الحديث عن هذه القضايا ـ فى علمى ـ بما يغطيها تغطية مستوعبة، وفى عصرنا الذي كثر فيه السؤال عن كل شئ أخذ كثير من الناس يتساءلون عن الصلة بين آيات القرآن الكريم وسوره فأصبح الكلام فى هذا الموضوع من فروض العصر الذى نحن فيه "[2].

---

(١) ينظر فى هذه الافتراءات: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، د/ عمر إبراهيم جـ٢ ص ٤٩٢ ومابعدها ، دار طيبة للنشر، الرياض. والسيرة النبوية وأوهام المستشرقين أ/ عبد المتعال الجابرى ص ٢٧ وما بعدها نشر مكتبة وهبة ، بدون .

(٢) الأساس فى التفسير، الشيخ سعد حوى جـ١ ص ٩، دار السلام، ط السادسة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

ثالثاً: تناول العلماء للتناســـب:

تنبه حبر الأمة ابن عباس (رضي الله عنهما) لقيمة السياق فى الكشف عن المراد، فقد سأله نافع بن الأزرق فقال: تزعم أن قوما يخرجون من النار، وقد قال الله (عز وجل) ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ ٣٧﴾ **وما هم بخارجين منها " المائدة " ٣٧ "**

فقال له ابن عباس: ويحك اقرأ مافوقها هذه للكفار[1].

فابن عباس يوجه ابن الأزرق إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ ﴾" المائدة " ٣٦ " .

فهذه الآية تكشف أن المقصودين بعدم الخروج هم الكفار، وهذا يدل على أن الرعيل الأول من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد تنبهوا إلى دور السياق فى الكشف عن المعني المقصود وأن إغفال السياق يؤدى إلى فهم خاطئ.

وظل التناسب يتدرج فى طيات كتب التفسير بدرجات متفاوتة حتى وصل إلى مرحلة أفرد له فيها كتبا ومؤلفات .

فقد أشار الزمخشرى " ت ٥٣٨هـ " فى كشافه إلى بعض المناسبات، وأكثر الفخر الرازى " ت ٥٤٤هـ " فى مفاتيح الغيب من إيراد المناسبات بل وأرجع إعجاز القرآن

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ، الإمام الطبرى جـ٦ ص ٢٢٨، مطبعة مصطفى الحلبى ط الثالثة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

الكريم إليها[1]، وفى ثنايا تفسير الإمام أبى السعود " ت ٩٨٢هـ " نجد إيرادا لبعض المناسبات، وكذلك نجد عند الألوسى " ت ١٢٧٠هـ " فى روح المعانى "حديثا عن المناسبات، وقد تبعهم كثيرون من المعاصرين مثل الشيخ محمد رشيد رضا " ت ١٣٥٤هـ " فى تفسير المنار،والشهيد سيد قطب " ت ١٣٨٧هـ " فى تفسير الظلال، والطاهر ابن عاشور " ت ١٣٩٤هـ " فى التحرير والتنوير ووضع الشيخ سعيد حوى التناسب نصب عينيه وأدار تفسيره " الأساس " على إبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم كله.

وأول من أفرد التناسب بالدراسة ابن الزبير الأندلسى الغرناطى " ت ٧٠٨هـ " حيث ألف: " البرهان فى تناسب سور القرآن " وقد اهتم فيه بإبراز التناسب بين سور القرآن ولم يتعرض للمناسبات بين الآيات إلا بإشارات يسيرة .

ثم جاء البقاعى " ت ٨٨٥هـ " فألف " نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور " وتحدث فيه عن المناسبات بين الآيات والمناسبات بين السور، وله كتاب آخر سماه " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " وهو كتاب ماتع بين فيه مقصود كل سورة، وربط بين هذا المقصود واسمها الذى اشتهرت به وعرفت به[2].

وجاء السيوطى " ت ٩١١هـ " فصنف الكثير من الكتب التى تناولت التناسب فى كثير من صوره ومجالاته، ومنها: " قطف الأزهار فى كشف الأسرار " ووصفه السيوطى

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب جـ٤ ص ١١٢

(٢) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، للإمام البقاعى جـ١ ص ٧٩ ت . د/ عبد السميع محمد أحمد ، مكتبة المعارف، الرياض ط أولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

بأنه كافل بهذا العلم وجامع لمناسبات السور والآيات مع ماتضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة[1].

ثم لخص من هذا الكتاب مناسبات السور خاصة ووضعها فى كتابه " تناسق الدرر فى تناسب السور، وألف أيضا: " مراصد المطالع فى تناسق المقاطع والمطالع "

وقد كشف محقق الكتاب عمل السيوطى فيه عندما ذيل محقق الكتاب العنوان بقوله:

" بحث فى العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها " فالكتاب يبحث فى بيان المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها[2].

واهتمت كتب علوم القرآن بالتنظير والتقعيد لهذا العلم وفى مقدمتها: " البرهان فى علوم القرآن " للزركشى " ت ٧٩٤هـ " و " الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى، وتناوله من المعاصرين الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى " ت ١٣٦٧هـ " فى كتابه " مناهل العرفان فى علوم القرآن " ، والشيخ الدكتور/ محمد عبد الله دراز " ت ١٣٧٧هـ "، فى كتابه " النبأ العظيم " ، وغيرهم كثيرون.

وبالرغم من كثرة التناول لهذا العلم فإنه يظل دائماً محل نظر وتأمل، يقول الطاهر: " وقد اهتممت فى تفسيرى هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآى بعضها ببعض وهو منزع جليل قد عنى به فخر الدين الرازى، وألف فيه برهان الدين البقاعى كتابه المسمى " نظم الدرر فى

(١) ينظر: قطف الأزهار فى كشف الأسرار للإمام السيوطى جـ ٨٩ وما بعدها ت. د/ أحمد بن محمد الحمادى ، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، ط أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٢) هذا الكتاب حققه د/ عبد المحسن العكر ونشرته مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض، ط أولى ١٤٢٦هـ.

تناسب الآيات والسور " إلا أنها لم يأتيا فى كثير من الآى بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع "[1].

هذا وقد كان للإمام الشوكاني رأى آخر فى أمر التناسب إذ عده شيئا متكلفا، يقول: (رحمه الله): " اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا فى بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم فى فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم فى التكلف بمحض الرأى المنهى عنه فى الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود فى المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب ـ سبحانه ـ حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف "[2].

وإذا كان الشوكاني يرفض القول بإبراز المناسبات بين الآيات فى نطاق السورة الواحدة فإنه ـ من باب أولى ـ يرفض إبراز المناسبات بين السور القرآنية فى ترتيبها المصحفى، وقد عضد رأيه بكون القرآن نزل منجما فى أكثر من عشرين سنة حسب الحوادث والأحوال، يقول الشوكانى: " وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور جـ١ ص ٨، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط ١٩٩٧م.

(٢) فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن على الشوكانى جـ١ ص ١٧١ دار الفكر ـ بيروت.

كان حلالا، وتحليل أمر كان حراما، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى، وتارة مع من حضر، وحينا فى عبادة وحينا فى معاملة، ووقتا فى ترغيب، ووقتا فى ترهيب وآونة فى بشارة، وآونة فى نذارة، وطورا فى أمر دنيا وطورا فى أمر آخرة، ومرة فى تكاليف آتية، ومرة فى أقاصيص ماضية، وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين، الذى لا يتيسر مع الائتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادى "[1].

ويصعد الشوكانى إنكاره على القائلين بالتناسب حتى يقول: " فمن يطلب المناسبات فإنه يعد مصابا فى عقله، متلاعبا بأوقاته، عابثا بعمره الذى هو رأس ماله "[2].

وفى كلام الإمام الشوكاني نظر، ودليله مردود عليه؛ فالآيات القرآنية كما يقول الزركشى: " على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما فى الكتاب المكنون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف،وحافظ القرآن العظيم لو استفتى فى أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل وإذا رجع إلى التلاوة لم يقل كما أفتى ولا كما نزل مفرقا بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة،

(١) فتح القدير جـ١ ص ١٧١.

(٢) فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن على الشوكانى جـ١ ص ١٧١ دار الفكر ، بيروت ، جـ١ ص ١٧٣.

ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه فإنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير "[1].

ويزيد الدكتور/ محمد عبد الله دراز الأمر وضوحا ويبين أن ما استشهد به الشوكاني من كون القرآن نزل منجما حسب الحوادث والأحوال إنما يصب فى دائرة الإعجاز القرآنى حيث يقول: " وأنا زعيم بأنك لن تجد ألبتة فى نظام معانيها أو مباينها ـ أى السورة ـ ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت فى نجم واحد أم فى نجوم شتى ... ولتقولن إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت فى تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائما على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده، ورقمت لبناته،ثم فرق أنقاضا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصا يشد بعضه بعضه كهيئته أول مرة "[2].

فالشيخ دراز يقرر أن القارئ للقرآن لا يشعر بكون هذه السورة نزلت آياتها مفرقة أم نزلت جملة واحدة لما بين الآيات من الانسجام والتناسب، ويبين أن السبب فى ذلك هو قدرة القادر الحكيم الذى راعى أزلا ذلكم الترتيب لأن هذه الآيات إنما نزلت مفرقة عن جمع، فقول الشوكاني برد المناسبات فى القرآن اعتمادا على نزول القرآن مفرقا لا يعد دليلا على تكلف المناسبات، بل هذا يدل على مدى إعجاز القرآن وبلوغه فى ذلك غاية الغايات، فهو مع نزوله مفرقا حسب الأحوال والأحداث نراه فى ترتيبه الموجود فى غاية

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشى جـ١ ص ٣٧ .

(٢) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص١٥٤ وما بعدها، دار طيبة للنشر والتوزيع ط أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الاتساق والانسجام والاتفاق، مما يجعل التناسب من أظهر مظاهر إعجازه يقول الشيخ دراز: " لعمرى لئن كانت للقرآن فى بلاغة تعبيره معجزات وفى أساليب ترتيبه معجزات، وفى نبوءاته الصادقة معجزات وفى تشريعاته الخالدة معجزات وفى كل ما استخدم من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات لعمرى إنه فى ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات "[1].

فالقرآن الكريم على تنوع أغراضه ومقاصده لا يفتقد أبدا المناسبة الجامعة والترسل الدقيق والترتيب العجيب، فكل آية تأخذ بحجز أختها وكل غرض يهيئ لغرض آخر، وكل سورة بينها وبين ما قبلها أو ما بعدها نسب قراب على النحو الذى وضحه العلماء.

رابعاً: وجوه التناسب فى سور القرآن:

الناظر فى كتب أهل العلم التى تناولت التناسب فى القرآن الكريم يجد أنهم تناولوا التناسب بين الآيات فى السورة الواحدة، وكذلك التناسب بين موضوعات السورة على تنوعها، وتحدثوا عن مناسبة مطلع السورة لختامها، ومطلع السورة لمقاصدها، كما تحدثوا عن التناسب بين السور ذات المطالع المتشابهة، والتناسب بين السور فى ترتيبها المصحفى ومن العلماء من لحظ السورة في سياقها النزولي.

(١) السابق ص ٢١١.

وانفرد البقاعى ببيان وجه آخر من وجوه التناسب فى سور القرآن، فقد سعى إلى رد تسع سور من القرآن الكريم من آخره على تسع سور من أوله[1]، وسيأتى مزيد توضيح لذلك[2].

وهذه الوجوه المتعددة التى تثرى البحث البلاغي القرآني نستطيع تقسيمها قسمين:

الأول: وجوه تناسب داخلية.

الثانى: وجوه تناسب خارجية.

فوجوه التناسب الداخلية تعني ببيان لحمة التناسب فى نطاق السورة الواحدة وتشمل:

- التناسب بين اسم السورة ومضمونها.
- التناسب بين مطلع السورة ومضمونها.
- التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.
- التناسب بين آيات السورة وأغراضها.

(١) ينظر: الإمام البقاعى ومنهاجه فى تأويل بلاغة القرآن د/ محمود توفيق سعد ص١٨٧، مكتبة وهبة ط أولى ١٤٢٤هـ.

(٢) ينظر: ص ٧٠ وما بعدها من هذا البحث.

أما وجوه التناسب الخارجية فتعنى ببيان التناسب بين السورة وغيرها من السور، وتشمل:

- التناسب بين السورة والسورة السابقة عليها.
- التناسب بين السورة والسورة اللاحقة لها.
- التناسب بين السورة والقرآن المكى أو المدنى حسب نزولها " السورة فى سياقها النزولى "
- التناسب بين السورة والسور المتشابهة أو المتماثلة المطلع.

هذا ولما كانت الفاتحة متفردة بموقعها فى مفتتح المصحف فإن لها من وجوه التناسب المعتبرة مالا يكون لغيرها، ومن هذه الوجوه:

- التناسب بين فاتحة الكتاب والقرآن الكريم كله.
- التناسب بين فاتحة الكتاب وسورة الناس.

وسنحاول فى الصفحات التالية تطبيق الوجوه الممكنة على سورة الفاتحة.

الفصـــل الأول

وجوه التناســـب الداخلية
فى سورة الفاتحة

تمهيد

السورة أصوات وحروف، وكلمات وجمل و أساليب ومعاني، والتناسب يرفرف بظلاله الندية على كل هذه المكونات فالتناسب في القرآن نراه على مستوى الصوت الدال على الحرف، فضلا عن الكلمة وتناغم حروفها، وتناغمها مع جارتها ومع معناها وصولا إلى جمل وأساليب ومعاني جزئية أو كلية في غاية التناسب والاتساق والتلاؤم والإعجاز،يقول الرافعي: " لا جرم إن المعنى الواحد لا يجزيء واحد منها في موضعه عن الآخر إن أريد شرط الفصاحة، لأن لكل لفظ صوتا، ربما أشبه موقعه من الكلام، ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه،والذي تساق له الجملة، وربما اختلف وكان غيره بذلك أشبه، فلابد في مثل نظم القرآن من إخطار معاني الجمل، وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللغة، بحيث لا تند لفظة، ولا تتخلف كلمة، ثم استعمال أمسها بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير، وأحسنها في النسق، وأبدعها سناء، وأكثرها غناء، وأصفاها رونقا وماء، ثم اطراد ذلك في جملة القرآن على اتساعه.....في الكلمة وفي الحرف من الكلمة، حتى يجيء ما هو كأنه صيغ جملة واحدة في نفس واحد "(١)

هذا وقد اقتصرت في بيان أوجه التناسب الداخلية على ما رأيته قريبا من فكرة البحث، وهو إظهار الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم كله، خاصة أن وجوه التناسب المسكوت عنها قد أخذت حظا في الدراسة والبحث.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعي ص٢٥٦ دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٩، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

المبحث الأول
التناسب بين اسم السورة ومضمونها

اختلف أهلُ العلم فى أسماء السور أهو توقيفى أم اجتهادى؟! والراجح أنها توقيفية، قال الزركشى: " ينبغى البحث عن تعداد الأسامى هل هو توقيفى أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضى اشتقاق أسماء لها وهو بعيد "(١).

ومغزى كلامه أن أسماء السور توقيفية،لابما يظهر من وجوه المناسبات، وجزم السيوطى بأن أسماء السور توقيفية قال: " وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف "(٢)

فالأسماء التي وردت فى الأحاديث والآثار المنسوبة للنبى (ﷺ) هى أسماء توقيفية، وما جاء على لسان الصحابة فهو اجتهاد منهم كما فى سورة الحشر فقد سماها ابن عباس سورة بنى النضير(٣).

ولتسمية السورة باسم معين أهمية كبيرة، يقول الزركشى: " ينبغى النظر فى وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعى فى الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشئ من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز "(٤)

---

(١) البرهان جـ١ ص ٢٧٠.

(٢) الاتقان فى علوم القرآن الإمام السيوطى، جـ١ ص ١١٥ ت٠ أ/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق، ط ١٤٠٧هـ.

(٣) السابق جـ١ ص ١١٨.

(٤) البرهان جـ١ ص ٢٧٠ وما بعدها.

فاسم السورة بمثابة العنوان الذي يهيئ العقل للمحتوى والمضمون الذى تشتمل عليه السورة.

وسورة الفاتحة لها أسماء كثيرة أو صلها السيوطى إلى خمسة وعشرين اسما[١]، " وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى "[٢].

وسوف أكتفى ببيان التناسب بين السورة والأسماء الثابتة لها فى السنة الصحيحة، وهى " الفاتحة، وأم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني ".

أولاً: الفاتحـــة:

تسمى هذه السورة فاتحة الكتاب، وهو أشهر أسمائها والثابت لها فى المصحف العثمانى، وقد ورد فى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت، أن النبى (ﷺ) قال: " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "[٣].

وفاتحة فى أصلها اللغوى مشتقة من " الفتح " وهو إزالة حاجز عن مكان مقصود ولوجه، فصيغتها تقتضى أن موصوفها فى معني أول الشئ تشبيها لأول بالفاتح، لأن الفاتح للباب هو أول من يدخل، فالفاتحة فى الأصل مصدر بمعنى الفتح، كالكاذبة بمعني الكذب[٤].

---

(١) الاتقان جـ١ ص ٤٨.

(٢) مفاتيح الغيب الإمام الرازى جـ١ ص ١٤٤.

(٣) صحيح البخاري جـ١ ص ٢٣٤ رقم ٧٥٦ ت، د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط الثالثة، وصحيح مسلم، جـ١ ص ٢٤٧، رقم ٣٩٤ ت. أ/ محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، واللفظ لمسلم.

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة " فتح "، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط١ص١٣٢.

وتأسيسا على ما سبق، فالفاتحة فى الأصل ما يفتتح به، ثم أطلقت على أول كل شئ، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، فالفاتحة وصف وصف به مبدأ القرآن وعومل معاملة الأسماء الجنسية، ثم أضيف إلى الكتاب ثم صار هذا المركب علما بالغلبة على هذه السورة(١).

وقد بين علماؤنا وجوه التناسب بين هذه السورة واسم " الفاتحة " ، ومن تلك الوجوه أنها يفتتح بها قراءة القرآن بها لفظا، ويفتتح بها الكتابة فى المصحف حظا فهى فواتح لما يتلوها فى سور القرآن فى الكتابة والقراءة(٢).

وهذا الوجه من التناسب ليس ناظرا إلى مدلولات السورة وإنما هو ناظر إلى موقع السورة من المصحف.

وينقل البقاعى عن أهل التصوف وجها آخر فى سبب التسمية بالفاتحة، وهو أن السورة مفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب، ولأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب، بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان، لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات، ويقتبس بسنائها أنوار الآيات(٣).

وهذا الوجه من التناسب بين اسم السورة ومضمونها إنما هو تناسب معنوي ناظر إلى هذا الفهم المستنبط من معاني الآيات.

---

(١) ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها د/ منيرة الدوسرى ص٩٩، دار ابن الجوزى ط أولى ١٤٢٦هـ.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبرى، جـ١ ص ٧٤ والجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبى، جـ١ ص١١١.

(٣) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآى والسور الإمام البقاعى، جـ١ ص ١٩ .

ثانياً: أم القرآن وأم الكتاب:

من أسماء هذه السورة المباركة، أم القرآن وأم الكتاب، وهذا الاسم ثبت من حديث أبى هريرة (رضي الله عنه) حيث قال: قال رسول الله (ﷺ): " **الحمد لله أم القرآن، وأم الكتاب والسبع المثانى** "[1].

وأم كل شئ أصله وعماده، وكل شئ انضمت إليه أشياء فهو أولها[2].

قال الراغب: " ويقال لكل ما كان أصلا لوجود شئ أو ترتيبه أو إصلاحه أو مبدئه أم "[3].

وعلى ذلك فأم القرآن أصله ومنشؤه، وعلى هذا المعني أدار العلماء بيان المناسبة بين هذا الاسم وأم القرآن، فذكر الطبرى أنها سميت أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخذ ما سواها خلفها فى القراءة والكتابة[4].

وقيل: إن وجه التناسب أن الفاحة لما كانت مشتملة على أنواع أغراض القرآن ومقاصده، ففيها الثناء على الله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده لما كان فيها ذلك ناسب أن تسمى بأم القرآن، فكل ما فى القرآن ضمن تفصيل جوامع هذه السورة[5].

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى رقم٣١٢٤ ت٠أ/ أحمد شاكر، دار الحديث القاهرة.

(٢) ينظر: لسان العرب " أمد ".

(٣) المفردات فى غريب القرآن الراغب الأصفهاني ص ٣٢ أ/ وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية ، بدون.

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبرى جـ١ ص ٧٤.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الإمام الرازى جـ١ ص ١٤٤، ونظم الدرر ج١ـ ص ٢٢ .

وقيل: إن وجه التناسب بين " أم القرآن " و " الفاتحة " أن الأم فى كلام العرب تأتى بمعنى الراية التى ينصبها العسكر، فسميت هذه السورة بأم القرآن لأن مفزع أهل الإيمان إلى هذه السورة كما أن منزع العسكر إلى الراية(١).

وهذا الرأى ظاهر التكلف لأن المؤمن يفزع إلى القرآن كله،والراجح أن وجه التناسب بين هذا الاسم " أم القرآن " وسورة الفاتحة راجع إلى كون الفاتحة مشتملة على مقاصد القرآن الكريم كله(٢)، فكل ما جاء بعدها إنما هو شارح ومفصل لها، قال ابن القيم: " اعلم أن هذه السورة ـ الفاتحة ـ اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود ـ تبارك وتعالى ـ بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى والصفات العلا إليها، ومدارها عليها... وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها وتضمنت إثبات النبوة من جهات عديدة "(٣).

فأم القرآن، وأم الكتاب يدلان على أن الفاتحة أصل جامع لما شرح وفصل فى القرآن الكريم كله، إلا أنه ثمت فرق بينهما خاصة أن النبى (ﷺ) فى الحديث السابق سماهما " أم القرآن " و " أم الكتاب " وعطف بينهما والعطف يقتضى التغاير، فالتسمية بأم القرآن ناظرة إلى القرآن الكريم فى صورته المنطوقة والمقروءة، والتسمية بـ " أم الكتاب " ناظرة إلى القرآن فى صورته المكتوبة وقد أخذت هذا المعنى من تفرقة الدكتور/ محمد عبد الله دراز، بين " القرآن " و " الكتاب " ، يقول (رحمه الله): " وفى تسميته بهذين الاسمين

(١) ينظر: مفاتيح الغيب جـ١ ص ١٢٤.

(٢) ينظر: ص٤٧ من هذا البحث .

(٣) مدارج السالكين بين منازك إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم جـ١ ص٧ ت٠أ/ عماد عمار، دار الحديث القاهرة.

" القرآن " أو " الكتاب " إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق لرسم الجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التى وضع عليها أول مرة، ولاثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر "[١].

ثالثاً: السبع المثاني:

من أسماء هذه السورة " السبع المثانى " ، فعن أبى سعيد بن المعلى أن رسول الله (ﷺ) قال: " الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم "[٢].

وتسمية الفاتحة بالسبع المثاني نتوقف معه من خلال أمرين: **الأول**: وجه التسمية بـ " السبع " ، وذلك لأنها سبع آيات لا خلاف بين الجميع فى ذلك فمن عد البسملة آية لم يقف عند " **أنعمت عليهم** " ، ومن لمن يعدها آية وقف بالآية عند قوله تعالى: " **أنعمت عليهم** "[٣].

وذكر الرازى وجها آخر لتسمية السورة بسبع فقال: " آياتها سبع وأبواب النيران سبعة فمن فتح لسانه بقراءتها غلقت عنه الأبواب السبعة "[٤].

وهذا وجه ظاهر التكلف ولا دليل عليه، والراجح أن التسمية بسبع لأن عدد آياتها سبع.

---

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص ٦.

(٢) صحيح البخاري جـ٣ ص ١٣٥٠ رقم ٤٤٧٤.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبرى جـ١ ص ٧٤، والجامع للقرطبى جـ١ ص ١١٤.

(٤) مفاتيح الغيب جـ١ ص ١٤٦.

الأمر الثاني: وجه التسمية بـ " المثاني " : و " المثاني " صيغة جمع واحدة مثناة، من ثنى الشئ جعله إثنين، وردّ بعضه على بعض، وتثنيته جعلته اثنتين "[١].

وسميت الفاتحة بذلك لأنها تثنى فى الصلاة، أى تكرر فتكون التثنية بمعني التكرير[٢].

وقيل لأنها على قسمين ثناء ودعاء، فنصفها ثناء العبد للرب ونصفها عطاء الرب للعبد "[٣].

وقيل لأنها نزلت مرتين، مرة بمكة، ومرة بالمدينة[٤]، وهذا الوجه بعيد جدا لأنه قد اتفق على أنها مكية[٥].

والراجح أنها سميت بـ " السبع المثانى " لأنها سبع آيات تثنى وتكرر فى كل ركعة وذلك يدل على عظم مكانتها، والسورة على وجازتها قد اشتملت على مقاصد الإسلام كله فهى تتكرر فى كل صلاة ليكون المسلم على ذكر دائم من معانيها ومقاصدها.

ولهذه السورة الكريمة أسماء أخرى كثيرة، ذكرها السيوطي منها: الصلاة، والشفاء، والرقية، والأساس والكافية[٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب " ثني ".

(٢) ينظر: تفسير الماوردى " النكت والعيون " جـ١ ص ٤٦ ت، أ/ السيد بن عبد المقصود، دارالكتب العلمية ،بيروت.

(٣) مفاتيح الغيب جـ١ ص ١٤٧.

(٤) ينظر: الاتقان ج١ـ ١٦٩ .

(٥) ينظر: الجامع للقرطبى جـ١ ١١٥.

(٦) ينظر: الاتقان جـ١ ص ١٢٥.

وقد اكتفيت بالأسماء الثابتة عن رسول الله (ﷺ) وهو ما فعله الطاهر ابن عاشور حيث قال: " سورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة أنهاها صاحب الإتقان إلى نيف وعشرين بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء من عهد السلف ولم يثبت فى السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب والسبع المثاني وأم القرآن، وأم الكتاب "[1].

وقد اتضحت وجوه التناسب بين هذه السورة المباركة والأسماء الثابتة لها فى السنة.

والله أعلم

(١) التحرير والتنوير جـ١ ص ١٣١.

المبحث الثاني
التناسب بين مطلع السورة ومضمونها

الناظر فى سور القرآن الكريم قاطبة يجد أن مطلع كل سورة يهيئ المتلقى لمضمون السورة ومعانيها " والعناية بتأويل مطلع السورة ودلالته على مقصودها الأعظم معدنه الإيمان بأن السورة القرآنية قائمة من معني كلى مهيمن على مكونات السورة كلها وأن فى مفتتح السورة ما يهدى إلى مكنونها من المعاني وهذا المنهاج فى التأويل هو من أصول النظر العربي فى فقه البيان "(١).

وقد اهتم علماء البلاغة بحسن المطلع شعرا أو نثرا وجعلوا ذلك من مواضع التأنق فى الكلام، قال ابن رشيق: " الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغى للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة "(٢).

ويقول الجاحظ: " إنه لاخير فى كلام لا يدل أوله على معناك ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي قصدت، والغرض الذى إليه نزعت "(٣).

ويخاطب أبو هلال العسكري الكتاب فيقول: " أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان "(٤).

---

(١) الإمام البقاعى ومنهاجه فى تأويل بلاغة القرآن د/ محمود توفيق سعد ص٢٣١.

(٢) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيروانى، جـ١ ص ٢١٧ ت أ/ محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع ط الخامسة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٣) البيان والتبين للحاحظ، جـ١ ص ١٦ ت، أ/ فوزى عطوى، دار صعب بيروت ط أولى ١٩٨٦م.

(٤) الصناعتين لأبى هلال العسكري ٢٨٩، ت. د/ مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

وقد أجمع البلاغيون والنقاد على أن فواتح سور القرآن الكريم بلغت أعلى درجات البلاغة فى حسن ملاءمتها لمعاني كل سورة، " فقد جاءت فاتحة كل سورة فى غاية التلاؤم والتناسب مع ما تتضمنه السورة من أحكام وعظات وقصص وأمثال "(١).

ويذكر الخطيب أن أحسن الابتداءات ما ناسب المقصود وأن جميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها ويظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر "(٢).

ومع تنبيه علمائنا على التأمل فى علاقة مطلع السورة بمقصودها إلا أن هذا الجانب لم ينل الحيز الدراسي اللائق به إذ " لاتزال وجوه كثيرة من بلاغة القرآن غير مدروسة، وإن كان قد نبه القدماء إليها، من ذلك باب علاقة المطالع بالمقاصد وهو فى كل سورة من سور القرآن يمثل مذهبا وطريقا وهو فى حاجة إلى أن يكشف ويبين كما يبين الشئ وينص عليه حتى يظهر للقراء كفلق الصبح وتظهر علاقة كل معنى فى السورة بمطلعها "(٣).

فالناظر فى مطلع السورة القرآنية يجد خيطا ينطلق منه إلى كل معنى ومقصد وقصة فى السورة يشد هذا الخيط كلَّ ذلك إلى المطلع مما يقوى التعانق بين آيات السورة ويجعلها متشابكة بعضها من بعض بشكل يأخذ باللباب، فيقرأ القارئ السورة وينتقل من آية إلى

---

(١) دراسات منهجية فى علم البديع د/ الشحات أبو ستيت ص ١١٨، دار خفاجى للطباعة والنشر ط أولى ١٩٩٤م.

(٢) ينظر: الإيضاح الخطيب القزوينى جـ٦ ص ١٤٩.

(٣) من أسرار التعبير القرآن فى سورة الأحزاب، د/ محمد أبو موسى ص ٢٥ مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

آية فلا يحس إلا بتدفق وانسجام وسلاسة والتئام حتى كأنه يقرأ كلمة واحدة أو ينطق لفظا واحدا.

وسورة الفاتحة تنطق بكل ذلك وأكثر، فمطلعها قوله تعالى: " **الحمد لله** "، وللوقوف على مناسبة هذا المطلع لما جاء فى السورة لا بد وأن نقف على مبناه ومعناه حتى تتضح وشائج القربى والاعتلاق بينه وبين بقية الآيات، و " **الحمد** " فى كلام العرب معناه الثناء الكامل والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا "[1].

ويبين الطاهر وجه المناسبة بين هذا المطلع والسورة فيقول: " فلما أراد الله أن تكون هذه السورة أولى سور الكتاب المجيد بتوقيف النبى (ﷺ) نبه الله تعالى قراء كتابه وفاتحى مصحفه إلى أصول هذه التزكية النفسية بما لقنهم أن يبتدئوا بالمناجاة التى تضمنتها سورة الفاتحة من قوله تعالى: " **إياك نعبد** " إلى آخر السورة، ولما لقن المؤمنون هاته المناجاة البعيدة التى لايهتدى إلى الإحاطة بها فى كلام غير علام الغيوب سبحانه، قدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك فى مناجاتهم جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبهم بالثناء والذكر المجيد لكل بليغ مجيد، ولذلك شأن مهم فى صناعة الإنشاء فإن تقديم المقدمة بين يدى المقصود أعون للأفهام وأوعى لوعيها "[2].

ومعنى كلامه (رحمه الله) أن الفاتحة فى مجملها مناجاة ودعاء لله سبحانه، والأليق بالدعاء وقبوله أن يقدم عليه الثناء والتمجيد لله، وقول " **الحمد لله** " جامع لكل أنواع الثناء والجمال والكمال، وهذا وجه من وجوه التناسب بين المطلع والمضمون.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبى جـ١ ص ١١٦ وما بعدها.

(٢) التحرير والتنوير جـ١ ص ١٥٢.

ونستطيع أن نلمح وجها آخر من وجوه التناسب وهو أن ماجاء بعد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إنما هو تأكيد على استحقاقه سبحانه الحمد والثناء، فمطلع السورة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يؤسس لإثبات الحمد والثناء لذاته العلية، وهنا يكمن وجه المناسبة والتلاقى بين هذه الآية وبين بقية الآيات إذ تؤكد بقية الآيات على أنه أهل لكل المحامد، والثناء المقتضية إثبات كل كمال وتنزيهه عن كل نقص، فهو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي خلقهم ورزقهم، وهو ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي وسعت رحمته كل شئ وسبقت رحمته غضبه، فالبشر يعصونه ويرزقهم، ومن رحمته يسترهم، فهو أهل لأن يحمد، وهو ـ سبحانه ـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فالله له مصير كل الخلائق، فيجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فمن ظلم من المؤمنين الموحدين عليه أن يعلم أن له ثوابا وجنانا يكافئه به ربه يوم الدين، ولذلك فالله أحق أن يحمد، قال الرازى: " هب أنه ثبت القول بوجود الإله القادر، فلم قلتم: إنه يستحق الحمد والثناء؟ والجواب هو قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وتقرير هذا الجواب أن العبد لا يخلو حاله فى الدنيا عن أمرين: إما أن يكون فى السلامة والسعادة،وإما أن يكون فى اللم والفقر والمكاره، فإن كان فى السلامة والكرامة، فأسباب تلك السلامة وتلك الكرامة لم تحصل إلا بخلق الله وتكوينه وإيجاده فكان رحمانا رحيما وإن كان فى المكاره والآفات، فتلك المكاره والآفات إما أن تكون من العباد أو من الله، فإن كانت من العباد فالله سبحانه وتعالى وعد بأنه ينتصف للمظلومين فى يوم الدين، وإن كانت من الله فالله ـ تعالى ـ وعد الثواب الجزيل والفضل الكثير على كل ما أنزله بعباده فى الدنيا من المكروهات

والمخافات، وإذا كان الأمر كذلك ثبت أنه لابد وأن يكون مستحقا للحمد الذى لانهاية له، والثناء الذى لا غاية له"(١).

فالله يستحق الحمد لكونه ربا للعالمين، ولكونه رحمانا رحيما، ولكونه مالكا ليوم الدين، ثم يتابع الرازى بيان استحقاق الله للحمد من فيوضات قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾...الآية

فيقول (رحمه الله): " واعلم أنه تعالى لما قدم الكلام فى الصفات المعتبرة فى الربوبية، أردفه بالكلام المعتبر فى العبودية ... وأحسن أحوال العبد فى هذه الدنيا أن يكون مواظبا على العبادات، وهذه أول درجات سعادة الإنسان وهو المراد بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فإذا واظب على هذه الدرجة مدة فعند هذا يظهر له شئ من أنوار عالم الغيب، وهو أنه وحده لا يستقل بالإتيان بهذه العبادة والطاعات بل ما لم يحصل له توفيق الله تعالى، وإعانته وعصمته، فإنه لا يمكنه الإتيان بشئ من العبادات والطاعات، وهذا المقام هو الدرجة الوسطى فى الكمالات وهو المراد من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ثم إذا تجاوز عن هذا المقام لاح له أن الهداية لا تحصل إلا من الله وأنوار المكاشفات والتجلى لا تحصل إلا بهداية الله وهو المراد من قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(٢).

ونستقى من هذا الكلام العذب ما يبين وجه التناسب بين المطلع ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فالعبد يحتاج إلى

(١) مفاتيح الغيب جـ١ ص ١٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب جـ١ ص ١٥٣ وما بعدها.

ربه فى كل شئ وأظهر شئ يفتقر العبد فيه إلى ربه هو التعبد له، فالفطرة السليمة لا يسعدها إلا أن تكون فى محراب العبادة الإلهية، والعبادة أهم للمسلم من الطعام والشراب فأقصى ما يحدث للإنسان إذا حرم الطعام والشراب أن يموت لكنه إذا حرم العبادة فهو فى ضنك فى الدنيا والآخرة، والمسلم لن يصل إلى العبادة التى يتعبد فيها بحق لربه إلا بالاستعانة به سبحانه ولذلك جاء الإقرار بالاستعانة بعد الإقرار بالعبادة، والمسلم الحق الذى أنعم الله عليه بالإسلام والتعبد لذاته ـ سبحانه ـ عليه أن يحمد ربه ويثبت له كل الثناء والكمال لعظيم نعمته ـ سبحانه ـ على عبده.

فالعلاقة بين مطلع السورة ومضمونها كالعلاقة بين الحكم وحيثياته، وأدلة ثبوته، فـ " **الحمد لله** " ثناء على الله ـ سبحانه ـ وبقية الآيات تأكيد على استحقاق الذات العلية لكل حمد وثناء، " فالسورة مهما تعددت قضاياها فهى كلام واحد يتعلق آخره بأوله،وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد "(١).

فمطلع السورة " **الحمد لله** " كان بمثابة الوتد الذى شدت أوتار السورة كلها إليه والسورة كلها ترمى إلى غرض واحد، قال البقاعى: " إن المقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق، والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبما يراضيه، وهو مقصود القرآن الذى انتظمته الفاتحة "(٢).

وبذلك يكون قد اتضح وجه التناسب بين مطلع السورة ومضمونها .

---

(١) الموافقات فى أصول الشريعة الإمام الشاطبى جـ٣ ص ٤٠٩، ت الشيخ عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى.

(٢) نظم الدرر جـ١ ص ٢٢.

المبحث الثالث
التناسب بين آيات السورة

الناظر فى آيات القرآن الكريم قاطبة يجد تناسبا وتناسقا فيما بينها فكل آية تتناغم وتتلاءم مع سابقتها ولاحقتها فى سلاسة تنقلك من معني إلى معني وقصة إلى قصة ومن ترغيب إلى ترهيب ومن سورة إلى سورة فى اتساق وتلاؤم، وهذا الأمر يعد من أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم حيث " وجدت أبنية من النظم الكلامى غير مستندة إلا على ما بينها من تناسق هندسى وتجاذب روحي أحكمه الحكيم العليم وقدره اللطيف الخبير، وفى القرآن الكريم صور كثيرة من هذا النظم الذى يعتمد على تجاذب الكلمات وتعانق الآيات فيكون ذلك رباطها الذى يمسك بها ويشد بعضها إلى بعض فى وثاقة وإحكام "(١).

وذلك يظهر جليا فى سورة الفاتحة، فالآية الأولى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ واقعة موقعها، فالحمد لفظ يستعمل فى معان كثيرة، فهو يستعمل فى معنى الشكر على حصول نعمة، أو تحقق رغبة، أو انجلاء كربة، وتستعمل كلمة " **الحمد** " عند ظهور سنة الله الحكيمة العادلة فى هذه الدنيا حيث يهلك المجرمون بعذاب الله، ويفرح المؤمنون بنصر الله، كما تستعمل هذه الكلمة فى سياق الدينونة الكبرى حين يفصل الله بين العباد فيحشر المؤمنين إلى النعيم ويسوق الكافرين إلى الجحيم، ويطرد إثبات الكمال والعزة والملك لله سبحانه(٢).

---

(١) إعجاز القرآن د/ عبد الكريم الخطيب ص ٢٦٩، دار الفكر العربى، بيروت.

(٢) ينظر: قاموس القرآن " إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم " الفقيه المفسر الحسين بن محمد الدامغاني ص ١٤٤ " حمد " ت .أ/ عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت ط الثالثة ١٩٨٠م .

ولهذا المعني الشامل لكلمة " **الحمد** " ناسب الافتتاح بها، فالقرآن الكريم أجل نعمة أنعم الله بها علينا فكان لزاما أن يستفتح بحمده سبحانه، ثم اختار الوحى الكريم لهذا الموطن ثلاث صفات من صفات الله الحسنى وهى " **رب العالمين** " ، و " **الرحمن الرحيم** " ، و " **مالك يوم الدين** " ، والمناسبة جلية واضحة، فبعد " أن وصف **ـ سبحانه ـ بما هو مقتضى استحقاقه " الحمد " من كونه "** رب العالمين " أى مدبر شؤنهم " ... ناسب أن يتبع ذلك بوصفه " **الرحمن** " أى الذى الرحمة له وصف ذاتى تصدر عنه آثاره بعموم واطراد ... فلما كان الله ربا للعالمين وكان المربوبون ضعفاء وكان احتياجهم للرحمة واضحا، وكان ترقبهم إياها من الموصوف بها بالذات ناجحا، فإن قلت: إن الربوبية تقتضى الرحمة لأنها إبلاغ الشئ إلى كماله شيئا فشيئا وذلك يجمع النعم كلها، فلماذا احتيج إلى ذكر كونه رحمانا؟ قلت: لأن الرحمة تتضمن أن ذلك الإبلاغ إلى الكمال لم يكن على وجه الإعنات، بل كان برعاية ما يناسب كل نوع وفرد ويلائم طوقه واستعداده فكانت الربوبية نعمة، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى فأتبع ذلك بوصفه " **الرحمن** " تنبيها على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسر ونفى الحرج حتى فى أحكام التكاليف والمناهى والزواجر فإنها مرفوقة باليسر بقدر مالا يبطل المقصود منها، فمعظم تدبيره تعالى بنا هو رحمات ظاهرة "[1].

ولما كانت النفس البشرية لا يستقيم حالها بالترغيب فقط، جاء النظم الكريم بقوله " **مالك يوم الدين** " ليتبع الرغبة الرهبة، وتكاد تتفق كلمة المفسرين على بيان وجه التناسب بين قوله " **مالك يوم الدين** " وما قبلها.

---

(١) التحرير والتنوير جـ١ ص ١٧٣.

قال الرازى: " ثم لما بين الرحمة المضاعفة، فكأنه قال: " **لا تغتروا بذلك فإنى مالك يوم الدين** "[1].

ويقول أبو حيان: " ولما اتصف تعالى بالرحمة انبسط العبد وغلب عليه الرجاء فنبه بصفة الملك أو المالك ليكون من عمله على وجل وأن لعمله يوما تظهر له فيه ثمرته من خير وشر "[2].

وفى هذا المعني قال البقاعى: " ولما كان الرب المنعوت بالرحمة، قد لا يكون مالكا وكانت الربوبية لا تتم إلا بالملك المفيد للعزة، المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر، المنتج لنفوذ الأمر أتبع ذلك بقوله: " **مالك يوم الدين** " ترهيبا من سطوات مجده "[3].

وبذلك يظهر ضعف ما قاله الماوردى فى بيان المناسبة هنا حيث ذكر أنه " لما قال : " **رب العالمين** " يريد به ملك الدنيا قال بعده: " **مالك يوم الدين** " يريد به ملك الآخرة ليجمع بين ملك الدنيا والآخرة "[4].

فهذا الكلام فيه نظر إذ بدا الربط بين الآيات بعيدا متكلفا، فالله رب العالمين فى الدنيا والآخرة، وقوله " **مالك يوم الدين** " إنما جاء ليكون المسلم على ذكر وتنبه لحاله مع الله فهو رحمان رحيم وهو أيضا محاسب سريع الحساب.

---

(١) مفاتيح الغيب جـ١ ص ٢٤٢.

(٢) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ١ ص٤٠ ت، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.

(٣) نظم الدرر جـ١ ص ١٤، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت ط أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

(٤) تفسير الماوردى جـ١ ص ٥٧ .

ولما استجمع الأمر استحقاقا وتحبيبا وترغيبا وترهيبا كان من شأن كل ذى لب الإقبال على الله،وقصر هممهم عليه، فقال سبحانه: " **إياك نعبد وإياك نستعين** "[1].

فالله الموصوف بهذه الصفات هو أحق أن يعبد ولذلك جاء التعبير عن عبادته ـ سبحانه ـ والاستعانة به، بأسلوب يناسب جلال المعني فى السورة، فقد جاء أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ليحقق فوائد عدة منها:

أولا: أن المصلى كان أجنبيا عند الشروع فى الصلاة، فلا جرم أن يثنى على الله بألفاظ المغايبة إلى قوله تعالى: " **مالك يوم الدين** " ثم إنه ـ تعالى ـ كأنه يقول له:حمدتنى وأقررت بكونى إلها ربا رحمانا رحيما مالكا ليوم الدين فنعم العبد أنت قد رفعنا الحجاب، وأبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل: " **إياك نعبد** ".

ثانياً: أن أحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة، ألا ترى أن الأنبياء (عليهم السلام) لما سألوا ربهم شافهوه بالسؤال؟.

ثالثاً: أن من أول السورة إلى قوله: " **إياك نعبد** " ثناء والثناء فى الغيبة أولى، ومن قوله: " **إياك نعبد** " إلى آخر السورة دعاء، والدعاء فى الحضور أولى "[2].

ويرى السيوطى فى أزهاره أن من لطائف هذا الالتفات " التنبيه على أن مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه ـ سبحانه ـ وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته، وقيام حجاب العظمة عليهم، فإذا عرفوه بما حوله وتوسلوا للقرب بالثناء عليه وأقروا بالمحامد له، وتعبدوا له بما يليق بهم تأهلوا لمخاطبته ومناجاته فقالوا: " **إياك نعبد وإياك نستعين** "[3].

---

(١) ينظر: نظم الدرر جـ١ ص ١٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب جـ١ ص ٢٥٢.

(٣) قطف الأزهار السيوطي جـ١ ص ١٣٥.

وكل هذه الوجوه لا تعارض بينها وإن كنت أرى أن جمال الالتفات فى الإلماح إلى أن قوله تعالى: " **إياك نعبد وإياك نستعين** " يجب أن يكون نتيجة لما سبق واستقر فى قلب المؤمن فقد عرف المؤمن ربه إلها رحمانا رحيما مالكا ليوم الجزاء، فمقتضى العقل والفطرة السليمة أن يتوجه من عرف ذلك إلى ربه معلنا تعبده له وحده، مستعينا به ـ سبحانه ـ.

وتأكيدا على هذه العبادة والاستعانه المستقرة فى نفس المؤمن خرج المعنى فى آكد أسلوب هو أسلوب القصر المفيد للاختصاص وهو قصر حقيقى تحقيقى لأن المسلم الحق لايعبد إلا الله ولايستعين إلا بالله "[1].

وجاء تقديم " **إياك نعبد** " على قوله " **إياك نستعين** " فى غاية المناسبة، وبين الرازى ذلك فذكر أن قوله " **إياك نعبد** " يقتضى حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى وذلك يورث العجب فأردف بقوله: " **وإياك نستعين** " ليدل ذلك على أن تلك الرغبة الحاصلة بسبب العبادة ما حصلت من قوة العبد بل إنما حصلت بإعانة الله فالمقصود من ذكر قوله: " **إياك نعبد** " إزالة العجب وإفناء تلك النخوة والكبر "[2].

وأرى أن فى كلام الرازى (رحمه الله) نظر، فأى عجب يلحق المؤمن الذى حمد ربه الرحمان الرحيم مالك يوم الدين؟!

فكيف يكون للعبد عجب وكبر وقد أثبت لربه كل المحامد وعرف له هذه الصفات؟! وأرى أن وجه التناسب فى تقديم: " **إياك نعبد** " على قوله: " **وإياك نستعين** "

---

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل لابن حمزة الكرمانى جـ١ ص ١٠٢ ت٠ أ/ شمران العجلى، مؤسسة علوم القرآن، بيروت .

(٢) مفاتيح الغيب جـ١ ص ٢٥٤.

أن العبادة تقرب للخالق تعالى فهى أجدر بالتقديم فى المناجاة، وأما الاستعانة فهى لنفع المخلوق للتيسير عليه فناسب أن يقدم المناجى ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك، ولأن الاستعانة بالله تتركب على كونه معبودا للمستعين به، ولأن من جملة ما تطلب الإعانة عليه العبادة فكانت متقدمة على الاستعانة فى التعقل[1].

وتختم السورة المباركة بالتوجه إلى الله بهذا الدعاء " **إهدنا الصراط المستقيم** "... الآية " ووجه التناسب بين هذا الدعاء وما سبقه أنه قد " تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله تعالى ووصفوه بصفات الجلالة ثم أتبعوا ذلك بقولهم: " **إياك نعبد وإياك نستعين** " الذى هو واسطة جامعة بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية وهى حظ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثناء والطلب حتى إذا ظنوا بربهم الإقبال عليهم ورجوا من فضله أفضوا إلى سؤل حظهم فقالوا: " **إهدنا الصراط المستقيم** " فهو حظ الطالبين خاصة لما ينفعهم فى عاجلهم وآجلهم "[2].

فمقصد السورة والهدف منها هو التوجه إلى الله بهذا الدعاء، قال الرازى: " ولما تم الوفاء بعهد الربوبية وبعهد العبودية ترتب عليه طلب الفائدة والثمرة وهو قوله: " **إهدنا الصراط المستقيم** "[3].

---

(١) التحرير والتنوير جـ١ ص ١٨٦.

(٢) السابق جـ١ ص١٨٧.

(٣) مفاتيح الغيب جـ١ ص ٢٥٢ .

ويؤكـد ابن القيم على ذلك فيقول: " ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب ونيله أشرف المواهب علمّ الله عباده كيفية سؤاله وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء "(١).

فالسورة من أولها تهيئ لهذا المطلب العالى، ومن أجل ذلك فصل حال هذا الصراط، فكان البدل منه فى قوله تعالى: " **صراط الذين أنعمت عليهم** ... " وفائدة البدل أنه لما ذكر حسن الطريق باستقامته وسهولة سلوكه، وسرعة الوصول به إلى القصد، فإن الصراط المستقيم أقرب الطرق، حسُن أن يذكر معه حسن الرفقاء، فإن الطريق الحسن الطيب قد يترك ويختار غيره لحسن الرفقاء، فبين تعالى أن هذا الطريق جامع لحسنه فى نفسه وحسن الرفقاء فيه(٢).

وبذلك يكون قد اتضح تناسب الآيات وانسجامها التام وظهرت لحمتها الواحدة المتماسكة فهى فى تلاحم آياتها، كتلاحم " الأعضاء فى جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقى العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسرى فى جملة السورة اتجاه معين وتؤدى بمجموعها غرضا خاصا،

(١) مدارج السالكين جـ١ ص ٢٣.

(٢) قطف الأزهار ص ١٤٦.

كما يأخذ الجسم قواما واحدا ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية "[1].

وهذا الكلام الدقيق الذى يكشف عن جودة السبك فى آيات القرآن وتناسبها ينسحب بالكلية على سورة الفاتحة وكل سور القرآن الكريم.

والله أعلم

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص ١٩٥ وما بعدها.

المبحث الرابع
التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

تنبه العلماء لهذا اللون من التناسب وأداروه على كافة سور القرآن خاصة الطوال منها، وأفرد السيوطي له كتابا سماه: " مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع "

وجاء فى مقدمة التحقيق لهذا الكتاب وهناك تناسب آخر عجيب، فى القرآن وهو ما يُرى من التآلف والتعانق بين مطلع السورة وختامها فى جمهور سور القرآن تآلفا وتعانقا يأخذ بالألباب وينبئ عن سبيل من سبل الإعجاز البياني للقرآن "[١].

وأكثر أبو حيان من تتبع هذا اللون فى سور القرآن الكريم حيث يقول: " تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شئ...، وذلك من أبدع الفصاحة حيث يتلاقي آخر الكلام المفرط فى الطول بأوله "[٢].

وهذا الوجه من التناسب يبدو قريبا مما عرف عند البلاغيين برد الأعجاز على الصدور، و " هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى أول الفقرة والآخر فى آخرها "[٣].

غير أن هذا الفن نطاقه الآية القرآنية أو البيت الشعري أو الجملة أو الجملتين، أما هنا فالدائرة تتسع لبيان أوجه التآخي بين أوائل السورة وأواخرها على اختلافها فى الطول والقصر.

---

(١) مقدمة كتاب مراصد المطالع ص ١٤.

(٢) البحر المحيط جـ٢ ص ٣٦٢.

(٣) الإيضاح للخطيب القزوينى جـ٣ ص ١٠٢.

وكما اهتم أهل العلم بتجويد ابتداء الكلام لأنه أول ما يقرع السمع، اهتموا ـ أيضا ـ بنهايته وذكروا أن البلاغة تقتضى حسن الانتهاء لأنها آخر ما يعيه السمع ويرتسم فى النفس، وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها، يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر(١).

ويذكر السيوطي أن خواتم السور القرآنية تدور بين الأدعية والوصايا والفرائض والتحميد والتعليل والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك مما يناسب جو السورة نفسها من بدايتها إلى نهايتها(٢).

فالسيوطى يلفتنا إلى أن نهاية السورة يأتى متسقا مع جو السورة وما فيها من معان وإحداث، و " أول سورة الفاتحة مشتمل على حمد الله والثناء عليه، وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته "(٣).

فالسورة تبرز الفئة المؤمنة الحامدة لربها ومن كمال إبرازها إظهار براءتها من أقوام آخرين غضب الله عليهم فضلوا وأضلوا، وكمال الإيمان والحمد يقتضى البراءة منهم، يقول ابن القيم: " فعلى المسلم أن يبعد من هذين الشبهين " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " غاية البعد ومن تصور الشبهين والوصفين،وعلم أحوال الخلق علم ضرورته وفاقته إلى هذا الدعاء " اهدنا الصراط ... " الذى ليس للعبد دعاء أنفع منه ولا أوجب

(١) ينظر: الإيضاح جـ٦ ص ١٥٣.

(٢) ينظر: الإيقان فى علوم القرآن الإمام السيوطي جـ٢ ص ١٠٧.

(٣) مفاتيح الغيب جـ١ ص ٢٦٢.

منه عليه وأن حاجته إليه أعظم من حاجته إلى الحياة والنفس،لأن غاية ما يقدر بفوتها موته،وهذا يحصل له بفوته شقاوة الأبد "[1]

فنعمة الهداية أعظم نعمة يحمد عليها الله، ويتعاظم الإحساس بهذه النعمة عند ختام السورة عندما يحدد طريق الهداية أتم تحديد فهو طريق المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس طريق اليهود ولا النصارى، وبذلك يكون قد انعطف المنتهى على المبتدأ وظهر وجه التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.

والله أعلم

(١) بدائع الفوائد لابن القيم جـ٢ ص ٦٢ ت ، أ/ سيد عمران وأ/ عامر صلاح ، دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

الفصـل الثانـي

وجوه التناسب الخارجية فى سورة الفاتحـة

تمهيد:

يقصد من هذا الفصل بيان أوجه الاعتلاق والترابط بين سورة الفاتحة كوحدة موضوعية متكاملة فى ذاتها وبين الإطار الكلى الدارجة فيه، وهذا يوضح لحمة التناسب القوية بين كل سور القرآن الكريم قاطبة، ويظهر وجها جليا من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

ويشتمل هذا الفصل على بيان وجه التناسب بين الفاتحة والقرآن الكريم كله، والتناسب بينها وبين القرآن المكى خاصة، والتناسب بينها وبين سورة البقرة، والتناسب بينها وبين السور المتشابهة المطلع والمفتتحة بالحمد ثم التناسب بينها وبين سورة الناس.

المبحث الأول
التناسبين سورة الفاتحة والقرآن الكريم كله

سورة الفاتحة بالنسبة للقرآن الكريم كله بمنزلة مكة من قرى الأرض فهى أم القرى، وكذلك الفاتحة هى محور القرآن الكريم والجامعة معانيه، فكل معانيه مرتبطة بسورة الفاتحة، فكل معني فى كل سورة ولا سيما المعاني الكلية وثيق الاعتلاق والانتساب إلى سورة الفاتحة على اختلاف درجات ظهور الاعتلاق والانتساب(١).

وتكاد تتفق كلمة العلماء على أن سورة الفاتحة اشتملت على علوم القرآن الكريم كله وأنها بمثابة " ديباجة القرآن، ومرآة القرآن، فالناظر المتأمل فى هذه السورة لا يفوته أن يطلع من خلالها على جميع مطالب القرآن أو يستحضر فى ذهنه رؤوس المعاني التى جاء بها القرآن "(٢).

ففاتحة الكتاب على وجازتها وقصرها ضمت بين آياتها الأفكار والمعاني والمقاصد التى شرحت فى مائة وثلاث عشرة سورة، ويوضح الرازى ذلك فيقول: " المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد، والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى، فقوله: " **الحمد لله رب العالمين** " يدل على الإلهيات، وقوله: " **مالك يوم الدين** " يدل على المعاد، وقوله: " **إياك نعبد وإياك نستعين** " يدل على نفى الجبر وعلى إثبات أن الكل بقضاء

(١) ينظر: العزف على أنوار الذكر د/ محمود توفيق سعد ص٣٠ مكتبة وهبه، ط أولى ١٤٢٤هـ .

(٢) البرهان فى نظام القرآن د/ محمد عناية الله سبحانى ص٨٠، دار الكتب، ط أولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

الله وقدره وقوله " **اهدنا الصراط المستقيم** " إلى آخر السورة، يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات "[1].

فالقرآن الكريم ينتظمه أمور فسرها، وأبانها وأكد عليها ودلل، منها مايختص بأمور العقيدة القائمة على توحيد الله وتوحيد ربوبيته، ومنها ما يختص بالأمور السمعية والتى لا مجال لمعرفتها إلا عن طريق الصادق المصدوق سيدنا رسول الله (ﷺ)، ومنها أمور العبادة ومنها الأحكام والتشريعات، ونجد فى سورة الفاتحة تأسيسا لكل هذه المعاني والأمور، يقول الشهيد سيد قطب ـ عليه رحمة الله ـ: " إن فى هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية وكليات التصور الإسلامى، وكليات المشاعر والتوجهات ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار فى كل ركعة وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر بها "[2].

ولأن سورة الفاتحة أساس وإجمال لكل ما جاء فى القرآن، فإن الناظر والمتأمل يستطيع أن يجد تناسبا متينا بين سورة الفاتحة وأى سورة فى القرآن الكريم.

وقد دلل على ذلك البقاعى، فوضح التناسب بين سورة الفاتحة من جهة وسورة البقرة وآل عمران والنساء من جهة أخرى[3].

فيقول مبينا التناسب بين الفاتحة وآل عمران: " المقاصد التى سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله (سبحانه وتعالى)، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرها مما آثره

---

(١) مفاتيح الغيب جـ١ ص ١٧٩.

(٢) السابق والصفحة.

(٣) فى ظلال القرآن الكريم الشهيد/ سيط قطب جـ١ ص ٢١، دار الشروق، ط الرابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئا فى الدنيا ولا فى الآخرة، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذى ينبغى الإقبال عليه، والمسارعة إليه ... فسورة آل عمران ناطقة بالتوحيد الذى هو سر حرف " **الحمد** " وأول حروف الفاتحة لأن التوحيد هو الأمر الذى لا يقوم بناء إلا عليه ولما صح الطريق وثبت الأساس "(١).

وفى مفتتح سورة النساء يقول البقاعى: " مقصودها الاجتماع على التوحيد الذى هدت إليه آل عمران، والكتاب الذى هدت إليه البقرة، لأجل الدين الذى جمعته الفاتحة "(٢).

ولو أراد المتأمل المتدبر فحدق نظر قلبه إلى معانى سور القرآن الكريم لبان له واتضح أوجه التناسب بين هذه السور وبين الفاتحة.

ومن أجمل وجوه التناسب بين الفاتحة والقرآن، ما ذكره العالم الربانى الشيخ الدكتور/ محمد عبد الله دراز (رحمه الله) حيث قال: " وهكذا حين تنظر إلى القرآن فى جملته نراه يتمثل أمامنا فى صورة مناجاة ثنائية، الفاتحة أحد طرفيها، وسائر القرآن طرفها الآخر الفاتحة سؤال، وباقى القرآن جواب، الفاتحة هى طلب الهدى والباقى هو الهدى المطلوب "(٣).

فالعلاقة بين الفاتحة والقرآن كالعلاقة بين السؤال والجواب، فالفاتحة دعاء والقرآن إجابة وبيان لهذا الدعاء، ويعود الشيخ (رحمه الله) فيبرز وجها آخر من وجوه التناسب بينهما

---

(١) نظم الدرر جـ٢ ص ٤٤ .

(٢) السابق جـ٢ ص ٢٠٤.

(٣) نظرات فى فاتحة الكتاب الحكيم د/ محمد عبد الله دراز، مجلة المجلة، ص١٤، عدد٧ ذو الحجة ١٣٧٦هـ يوليه ١٩٥٧م .

فيقول: " القرآن ـ وهو دستور الإسلام ـ لو جاءنا بدون الفاتحة لكان دستورا وافدا على الأمة طارئا عليها، يعرض نفسه عليها عرضا، أو يفرض عليها فرضا أو يمنح لها منحة، فليكن مع ذلك حقا كله، وخيرا كله، وهدى كله، لكنه لو لم تطلبه الأمة ولو لم تعلن حاجتها إليه لكان لها أن تستقبله كما تستقبل البضاعة المعروضة بغير طلب، وأن تقول له زاهدة فيه لا حاجة بى إليك،أما الآن فالموقف يختلف كل الاختلاف ... إن موقع الفاتحة هنا موقع القرار الجماعي الذى تعلن به الأمة المؤمنة حاجتها إلى هذا الدستور وتؤكد مطالبتها به وإن موقع القرآن كله بعد الفاتحة هو موقع القبول والاستجابة لهذا المطلب فما هو إلا أن أعلن المؤمنون مطلبهم هذا قائلين: " **اهدنا الصراط المستقيم** " وإذا بالقرآن يزف إليهم هديته وهدايته، قائلا لهم: " دونكم الهدى الذى تطلبونه فكانت أول كلمة فى القرآن بعد الفاتحة هى " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " هكذا جاءهم على ظمأ وتعطش فكان أنفع لغلتهم وكان أكرم فى نفسه وعلى الناس، من أن يتعرض للمعرضين عنه أو أن يلزم من هم له كارهون، وكان فوق ذلك كله أقطع لحججهم ومعاذيرهم فى إهماله ونسيانه لو أهملوه أو نسوه فيما بعد ذلك، إنه لم يلزمهم إلا بما التزموا ولم يجئهم إلا بما طلبوا، وخير الدساتير مانبع من حاجة الأمة، وكان تحقيقا صريحا لمطامحها الراشدة"[1].

فالشيخ (رحمه الله) يبين أن مجئ الفاتحة فى مستهل سور القرآن الكريم جعل القرآن مطلوبا لا معروضا، فالفاتحة تعلن فى وضوح حاجة المؤمنين الملحة لهذا الكتاب، وهذا ما يجب أن يكون عليه حال الأمة من شوق ولهفة لكل آية من آيات القرآن الكريم، فالقرآن نور والنور مطلوب، والقرآن رحمة، والرحمة مطلوبة، والقرآن هداية والهداية مطلوبة والقرآن حياة والحياة مطلوبة، والقرآن روح ولا يعيش حى بدون روح .

والله أعلم

(١) نظرات في فاتحة الكتاب د/ محمد عبد الله دراز ص ١٤ وما بعدها .

المبحث الثاني
التناسب بين سورة الفاتحة والقرآن المكي
" الفاتحة فى سياقها النزولي "

قبل أن نلج فى بيان المناسبة بين سورة الفاتحة والقرآن المكى، كان لزاما أن نسأل سؤالا: هل ثمت فائدة فى دراسة السورة من خلال سياقها النزولى وملابساته؟.

والجواب: أن الفائدة لن تعدم فقد اهتم العلماء ببيان مكية السور ومدنيتها وجعلوا الفيصل فى التفرقة بين المكى والمدنى ليس هو مكان النزول إنما هو كونه بعد الهجرة أو قبلها، فإن كان قبلها فهو مكى وإن كان بعدها فهو مدنى ولو نزل بمكة(١).

والملاحظ أن هناك اختلافا بين ترتيب السور القرآنية فى النزول وترتيبها فى المصحف، ومنشأ هذا الاختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين " فهو فى ترتيبه النزولى منهج لتأسيس دعوة، وهو فى ترتيبه المصحفى أسلوب حياة وبناء حضارة، ودستور للعالم كله محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحكم ترتيبه من هذه الوجهة ليكون هداية للمؤمنين "(٢).

والفائدة من ملاحظة السور القرآنية فى سياقها النزولى المساعدة " على تصور منهج الحركة الإسلامية ومراحلها وخطواتها "(٣).

---

(١) ينظر: مناهل العرفان٠ الشيخ الزرقانى جـ١ ص ١٦٢ وزهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة ص ٧٥ ، دار الفكر العربي بدون.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب تناسق الدرر فى تناسب السور للإمام السيوطى ، ت . د/ عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) فى ظلال القرآن جـ٣ ص ١٤٢٩.

فالاهتمام بمواقع نزول السور يعطي منهجا سليما للدعوة الإسلامية، ودروسا للدعاة فى مختلف العصور والأمكنة، ولذلك اعتنى الصحابة بمكان وزمن النزول للآيات يقول ـ على بن أبى طالب (ﷺ): " والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت،إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا سؤولا "(١).

فالقرآن الكريم له نظام وهدف فى ترتيبه النزولى فقد كان يتنزل مراعاة لحاجة الدعوة الناشئة،والتدرج بالمدعو ين شيئا فشيئا،والإجابة على أسئلتهم،وجل ما يعرض لهم من مشكلات،وفهم هذه الأمور وكيف تعامل القرآن معها يعطي لنا اليوم إضاءات على الطريقة المثلى للتعامل الدعوى مع البشر على اختلافهم وتنوعهم.

وقد يسأل سائل: إذا كان الأمر كذلك فلم لم يكن الترتيب المصحفي وفق ترتيب النزول؟!.

والجواب: أن القرآن الكريم لو جمع ورتبت سوره على حسب ترتيب نزوله " لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحوادثها أو أنه حلول وقتية للمشكلات التى كانت على عهد الرسول (ﷺ) فحسب، والله تعالى يريد كتابه عاما خالدا لا يختص بعصر دون عصر، ولا بقوم دون قوم، لذلك اقتضت الحكمة أن يرتب ترتيبا يحقق هذا العموم، وهذا الخلود، ويبتعد عن الترتيب الزمني الذى نزل به "(٢).

---

(١) ينظر: حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى جـ١ ص ٦٧ ، دار الكتاب العربى بيروت ط ، الرابعة ١٤٠٥هـ.

(٢) المجتمع المثالى كما تنظمه سورة النساء أ/ محمد محمد المدنى ص ٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وسورة الفاتحة سورة مكية بل هى من أوائل السور المكية، فهى فى ترتيب النزول خامس خمسة بعد العلق، والقلم، والمزمل، والمدثر(١).

وللقرآن المكى خواصه وسماته ومعانيه إذ يتميز أسلوب القرآن المكى فى الغالب بالقوة وشدة الخطاب وقصر الآيات، والاهتمام بقضايا العقيدة والتوحيد الخالص لله، ولذلك نجد فى القرآن المكى تفنيدا للشبهات التى تزرع بها أهل مكة للإصرار على الشرك والوثنية، ودخل عليهم من كل باب وأتاهم بكل دليل، وحاكمهم إلى الحس وضرب لهم أبلغ الأمثال، وقص عليهم من أنباء الرسل وأممهم السابقة ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر من تقرير سنته تعالى الكونية فى إهلاك أهل الكفر والطغيان، وانتصار أهل الإيمان والإحسان(٢).

فأغلب القرآن المكى ـ كما يقول الشاطبى ـ: " مقرر لثلاثة معان، أحدهما: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، والثانى: تقرير النبوة للنبى محمد (ﷺ)، والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة،وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة، فهذه المعاني الثلاثة هى التى اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة فى عامة الأمر، وما ظهر ببادى الرأى خروجه عنها فراجع إليها فى محصول الأمر، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب والأمثال والقصص وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأمثال ذلك(٣).

---

(١) ينظر: الاتقان للسيوطى جـ١ ص ٤١ .

(٢) ينظر: مناهل العرفان جـ١ ص ١٦٠ وما بعدها.

(٣) الموافقات ، الإمام الشاطبى جـ٣ ص ٤١٦ .

والناظر فى فاتحة الكتاب يجد أن كل هذه المعانى ممثلة فيها، ففى " **الحمد لله رب العالمين** " إثبات التوحيد الخالص لله ـ سبحانه ـ وفى " **مالك يوم الدين** " إشارة إلى البعث والحساب يوم القيامة، وفى " **إياك نعبد وإياك نستعين** " إفراد الله بالعبودية والاستعانة وهما مظهرا التوحيد العملى، وفى " **أهدنا الصراط المستقيم** " حديث عن الدين الجديد الذى جاءهم به رسول الله (ﷺ) وترغيب فيه، وفى " **صراط الذين أنعمت عليهم** " حديث عن الأنبياء الصالحين الذين أنعم الله عليهم بالهداية والإيمان .

وفى قوله: " **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** " تذكير باليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الضلالات الذين غضب الله عليهم وأضلهم.

فالسورة الكريمة اشتملت على أصول المعاني التى فصلت وشرحت فى القرآن المكى، وبذلك يبدو التناسب واضحا بين سورة الفاتحة والقرآن المكى.

ومما يجب أن نكون منه على ذكر أن سور القرآن الكريم فى سياقها النزولى أوفى ترتيبها المصحفى فى أعلى درجات البلاغة والإعجاز، يقول البقاعى: " القرآن حاز أعلى البلاغة فى إنزاله مطابقا لما تقتضيه الأحوال بحسب الأزمان ثم رتبه على أعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من المقال كما تشاهده من هذا الكتاب البديع البعيد المنال "[1].

وثمت أمر آخر فى حديثنا عن تناسب السورة فى سياقها النزولى، فالسور المكية خاصة المنزلة فى أوائل البعثة كانت بمثابة " قوارع تصخ الجنان، وتصدع الوجدان وتفزع القلوب إلى استشعار الخوف وتدع العقول إلى إطالة الفكر فى الخطبين الغائب والعتيد،

(١) نظم الدرر البقاعى جـ ٢ ص ٢٠٤ .

والخطرين القريب والبعيد، وهما عذاب الدنيا بالإبادة والاستئصال أو الفتح الذاهب بالاستقلال وعذاب الآخرة وهو أشد وأقوى وأنكى وأخذى ـ بكل من هذا وذاك أنذرت السور المكية أولئك المخاطبين إذا أصروا على شركهم "[١].

وفى ظل هذا الجو المكذب للدعوة والمناوئ لها والقرآن ينزل على المشركين صواعق مرسلة والفئة المؤمنة يفعل بها ما يفعل كان نزول سورة الفاتحة بهدوئها وسكونها لتكون لسان حال القلة المؤمنة، فتثبت قلوبهم وتروح نفوسهم، فقد ذكرتهم السورة بمعان كثيرة كانت نفوسهم فى لهفة شديدة لها.

فقد استجاشت السورة حمد الله والثناء عليه فهم على ما هم فيه من بلاء وتعذيب هم فى نعمة عظيمة إذ اصطفاهم الله (ﷻ) لدينه فمهما فعل بهم فى الدنيا فما عند الله خير وأبقى، ولذلك يذكرهم الله بواسع رحمته فهو " **الرحمن الرحيم** " ، رحيم بهم لم يغفل عنهم أبدا وإنما هو الابتلاء من أجل الاصطفاء، وتذكرهم الآيات بيوم الدين فيجازيهم الله على أعمالهم خيرا، ويقتص ممن آذوهم ونكلوا بهم، فالتذكير بيوم الدين " كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة فى تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض، فلا تستبد بهم ضرورات الأرض، وعندئذ يملكون الاستعلاء على هذه الضرورات ولا يستبد بهم القلق على تحقيق جزاء سعيهم فى عمرهم القصير المحدود، وفى مجال الأرض المحصور، وعندئذ يملكون العمل لوجه الله وانتظار الجزاء حيث يقدره الله فى الأرض أو فى الدار الآخرة سواء فى طمأنينة لله وفى ثقة بالخير وفى إصرار على الحق، وفى سعة وسماحة ويقين[٢].

---

(١) تفسير المنار ، الشيخ/ محمد رشيد رضا ط ص ٢٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٩٩٠م .

(٢) فى ظلال القرآن ، الشهيد سيد قطب جـ١ ص ٢٤ .

ويبين الحق فى هذه السورة طريق السعادة لهم فى الدارين من خلال عبادته والاستعانة به سبحانه ـ فإن اشتاقت الفئة المؤمنة إلى التمكين والنصر فى الدنيا فلا مناص من تعبيد نفوسهم لله والاستعانة به ـ سبحانه ـ، وبذلك يكونون أهلا لنصر الله وهدايته فتحقق لهم سعادة الدارين.

فالسورة تناسب واقعها النزولى أتم المناسبة فإذا كانت السور السابقة لها نزولا قوارع ناظرة فى المقام الأول للمكذبين، فإن الفاتحة جاءت ظلالا وارفة، وترياقا شافيا، وحنانا سابغا لتلكم العصبة المؤمنة التى عذبت فى دين الله (ﷻ) فما وهنت وما ضعفت، وما استكانت.

وبذلك يتضح مدى مناسبة الفاتحة لتوقيتها النزولى فمن أى جهة نظرت إلى الفاتحة وجدت وجه التناسب حاضرا ظاهرا ـ وسبحان من هذا كلامه ـ.

والله أعلم

المبحث الثالث
التناسب بين سورة الفاتحة وسورة البقرة

سورة البقرة هى السورة التالية لسورة الفاتحة حسب الترتيب المصحفى، وهى سورة مدنية، وقد اختلف أهل العلم فى ترتيب سور القرآن أهو توقيفى أم هو باجتهاد من الصحابة(١).

والراجح هو القول بالتوقيف،قال السيوطى: " ومما يدل على أنه توقيفى كون الحواميم رتبت ولاءً وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً،بل فصل بين سورها وفصل بين طسم، الشعراء، وطسم القصص، بـ " طس " النمل مع أنها أقصر منها ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاءً وأخرت " طس " عن القصص "(٢).

فهذا التصرف فى ترتيب سور القرآن لابد وأن يكون بتوقيف النبى (ﷺ) لحكمة يعلمها فى هذا الترتيب المعجز، ومما يرجح القول بالتوقيف أيضا ـ الكشف عن أسرار التناسب البارع والارتباط المحكم بين سور القرآن الذى ينتهى إلى حد الإعجاز.

والكشف عن هذا اللون من التناسب " باب اتسع علمه وتغازر، وقل كلام الناس فيه، وهو من أبواب البلاغة العالية التى تروع من غير أن تكون داخلة تحت مصطلح من

---

(١) ينظر فى ذلك: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى جـ١ ص ٥٢، والإتقان للسيوطى جـ١ ص١٧٧ وما بعدها، والبرهان فى ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطى ص ٥٤ ت أ/ محمد شعبانى ، نشر وزارة الأوقاف المغربية، بدون ، ومناهل العرفان للشيخ الزرقانى جـ١ ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٢) الإتقان ، السيوطى جـ١ ص١٦٩.

مصطلحات متون علم البلاغة، لأنها علاقات معان تتفق وتختلف وتتقارب وتتباعد، ولها فى تقاربها وتباعدها درجات "[١].

وسورة الفاتحة لكونها أم القرآن المشتملة على كل معانية إجمالا " لو وضعت بجانب أى سورة لناسبتها بوجه من الوجوه، إذ ما من سورة إلا فيها تفصيل لبعض ما أجملته معانيها وهذا من خصائص الفاتحة "[٢].

وقد تعددت وجوه التناسب والاعتلاق بين الفاتحة والبقرة، فقد افتتحت البقرة بالحديث عن القرآن الكريم والقرآن أعظم منة امتن الله بها على المسلمين وهذا يناسبه " **الحمد لله** " الذى استهلت به سورة الفاتحة، فإذا لم يحمد الله على نعمة القرآن فعلى أى شئ يحمد؟!.

ومن وجوه التناسب ـ أيضا ـ أن المؤمنين لما طلبوا الهداية فى سورة الفاتحة: " **اهدنا الصراط المستقيم**... " جاء قوله فى سورة البقرة: " **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** " مبينا لهم معالم هذا الصراط، فسورة الفاتحة مناسبة أتم المناسبة لأوائل سورة البقرة " لأن الله ـ تعالى ـ لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى قال: " **قد أعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه** "[٣].

---

(١) من أسرار التعبير القرآنى فى سورة الأحزاب د/ محمد أبو موسى ص ١٥٤.

(٢) جواهر البيان فى تناسب سور القرآن، لأبى الفضل عبد الله الغمارى الحسنى، مكتبة القاهرة بدون.

(٣) قطف الأزهار للسيوطى ص ١٥٥.

ففى الفاتحة دعاء وفى أول البقرة إجابة لهذا الدعاء ومن وجوه التناسب بين السورتين ـ أيضا ـ أن الفاتحة تحدثت عن **ثلاثة أصناف**: الصنف **الأول**: الذين أنعم الله عليهم **والثانى**: المغضوب عليهم، **والثالث**: الضالون وجاءت سورة البقرة فتحدثت عن الأصناف الثلاثة خاصة الصنفين الأوليين، وشغلت سورة آل عمران بالصنف الثالث " النصارى ".

المنعم عليهم تحدثت عنهم سورة البقرة فى آيات كثيرة ففى بدء السورة ذكرت أوصاف المتقين﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الآية ٣ من سورة البقرة.

ويذكر السيوطى إجماع أهل العلم على تفسير " المغضوب عليهم " باليهود، و " **الضالين** " بالنصارى، وقد ذكروا فى الفاتحة على حسب ترتيبهم فى الزمان فعقب بسورة البقرة وجميع ما فيها من خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة، ثم بسورة آل عمران وأكثر ما فيها من خطاب أهل الكتاب للنصارى خاصة(١).

فسورة البقرة جاءت بتفصيل الحديث عن المغضوب عليهم من اليهود، وجاءت سورة آل عمران بذكر النصارى والحديث عن أحوال تتعلق بهم.

وقد بين بعض العلماء التناسب بين سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ولعل الدافع لذلك أن النبى (ﷺ) بشر بنزولهما معا ـ كما جاء فى الحديث: " أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته "(٢).

---

(١) ينظر: تناسق الدرر ، السيوطى ص ٦٨.

(٢) صحيح مسلم جـ١ ص ٥٥٤ رقم ٨٠٦.

فالحديث الشريف قد تحدث عن فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة فى نسق واحد وهذا ماحدا بالإمام النيسابورى ليبين وجه الا رتباط والتناسب بينهما حيث قال: " وحاصل الدعوة أمور سبعة تشتمل عليها خواتيم سورة البقرة، أربعة منها تتعلق بالمبدأ وهى معرفة الربوبية أعنى معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وذلك قوله: "**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** "

واثنان منها تتعلق بالوسط: " الحياة الدنيا " **أحدهما** مبدأ العبودية، وذلك قوله: " **سمعنا وأطعنا** " ، **والثانى**: " كمال العبودية، وهو الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة منه " **غفرانك ربنا** " ، وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب إلى حضرة الملك الوهاب " **وإليك المصير** " ، ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب فى الدعاء والتضرع:

أولها: " **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** " وضد النسيان الذكر وهذا الذكر إنما يحصل بقوله " **بسم الله الرحمن الرحيم** "

وثانيها: " **ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حلمته على الذين من قبلنا** " ودفع الإصر والثقل يوجب " **الحمد لله رب العالمين** ".

وثالثها: " **ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به** " وذلك إشارة إلى كمال رحمته، وذلك حاصل فى قوله " **الرحمن الرحيم** ".

ورابعها: " **واعف عنا** " لأنك أنت المالك للقضاء والحكومة فى يوم الدين، وذلك قوله: " **مالك يوم الدين** ".

وخامسها: " **واغفر لنا** " لأننا التجأنا بكليتنا إليك وتوكلنا فى جميع الأمور عليك وذلك قوله: " **إياك نعبد وإياك نستعين** ".

وسادسها: " **وارحمنا** " لأنا طلبنا الهداية منك وذلك قوله " **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** " .

وسابعها: " **أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** " وذلك فيه إشارة إلى قوله " **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** "(١).

وبهذه المعاني تكون سورة الفاتحة قد تلاقت مع سورة البقرة فى محاور عدة ليتأكد بالدليل العملى القول بتوقيف ترتيب سور القرآن، فقد تلاقت المعانى فى السورتين وانعطفت معاني الفاتحة على أول سورة البقرة، وعلى وسطها وعلى آخرها فلا تقرأ أية ولا حكما ولاقصة فيها إلا وتجد ظلال سورة الفاتحة الوارفة ترفرف بنسماتها عليها من قريب أو بعيد، فقد كانت سورة البقرة فروعا ناضرة تضرب إلى جذر واحد هو سورة الفاتحة.

وبالنظر إلى كون الفاتحة من أوائل السور المكية نزولا وسورة البقرة من أوائل السور المدنية نزولا ووضعها بعد الفاتحة مباشرة فى ترتيب المصحف وكان بينهما ذلك التناسب الجلى بالنظر إلى كل ذلك يتبين لكل صاحب عقل لا يتبع هواه أن هذا الكتاب محكم من أى جهة نظرت إليه، فلا نقص فيه ولا خلل ولا اضطراب، إنما هو الكمال والبلاغة والإعجاز، وأن ترتيب السور فى المصحف إنما كان بالتوقيف.

والله أعلم

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام، نظام الدين النيسابورى جـ١ ص١٤٤ ت ، الشيخ/ زكريا عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

المبحث الرابع
التناسب بين الفاتحة والسور المفتتحة بـ " الحمد لله "

سورة الفاتحة مبدؤها " **الحمد لله** " وفى القرآن الكريم أربع سور غيرها بدئت بـ " الحمد لله " ، وهى على الترتيب المصحفى:

١ـ الأنعام وفاتحتها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾.

٢ـ الكهف وفاتحتها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾.

٣ـ سبأ، وفاتحتها: **الحمد لله الذى له ما فى السماوات والأرض** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

٤ـ فاطر، وفاتحتها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

فهذه السور بدئت بـ " **الحمد لله** " وذكر مع كل حمد مقتضى لهذا الحمد، وكل هذه المقتضيات مردها إلى الحمد فى سورة الفاتحة.

وقد بين الرازى (رحمه الله) بيان وجه التناسب بين هذه السور، فذكر أن الحمد فى سورة الأنعام قسم من أقسام قوله: " **رب العالمين** " لأن لفظ العالم يتناول كل ما سوى الله، فالمذكور فى أول سورة الأنعام كأنه قسم من أقسام ما هو مذكور فى أول سورة الفاتحة، وثانيها: سورة الكهف والمقصود حمد الله على تربية الأرواح بالمعارف، فإن الكتاب الذى

أنزله على عبده سبب لحصول المكاشفات والمشاهدات، فكان هذا إشارة إلى التربية الروحية فقط، وقوله فى أول سورة الفاتحة " رب العالمين " إشارة إلى التربية العامة فى حق كل العالمين، ويدخل فيه التربية الروحانية والتربية الجسمانية، فالمذكور فى أول سورة الكهف نوع من أنواع ما ذكره فى أول الفاتحة، وثالثها: سورة سبأ، فبين فى أول الأنعام أن السماوات والأرض له، وبين هنا أن الأشياء الحاصلة فى السماوات والأرض له، وهذا أيضا قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله: " **الحمد لله رب العالمين** " ، ورابعها: سورة فاطر والمذكور فى أول سورة الأنعام كونه خالق السماوات والأرض،والخلق هوالتقدير، والمذكور فى هذه السورة كونه فاطرا لها، ومحدثا لذواتها، وهذا غير الأول إلا أنه أيضا قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله: " الحمد لله رب العالمين "[1].

وإذا قلبنا كلام الرازى نجد أن ما ذكره من مقتضى " **الحمد** " فى الأنعام والكهف وإرجاعه إلى قوله: " **رب العالمين** " مقبول وواضح، لكن التكلف واضح فى إرجاع مقتضى الحمد فى السورتين الأخريين إلى الحمد فى الفاتحة، ولذلك كان كلام السعد فى شرح التلويح أوجه وأبدع من كلام الرازى، فقد ذكر أن الحمد يكون على النعمة وغيرها، فالله يستحق الحمد أولا بكمال ذاته وعظمة صفاته، وثانيا بجميل نعمائه وجزيل آلائه ونعم الله ـ تعالى ـ على كثرتها ترجع إلى إيجاد وإبقاء أولا " أى فى الدنيا " ، وإيجاد وإبقاء ثانيا " أى فى الآخرة وأشير فى الفاتحة إلى الجميع، ففى الأنعام إشارة إلى الإيجاد وفى

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ، للرازى جـ١ ص ١٥٠.

الكهف إشارة إلى الإبقاء أولا، وفى سبأ إلى الإيجاد وفى الملائكة " فاطر " إلى الإبقاء ثانيا[1].

وكلام الإمام السعد أصاب المحز إلا أنه مجمل مكتنز الدلالات يحتاج إلى فك ونشر، وهذا ما فعله البقاعى فقد نقل كلام السعد وفصله ووضحه، قال البقاعى: " وقد أشير فى أم الكتاب كما قال العلامة سعد الدين مسعود ابن عمرو التفتازانى الشافعى - إلى جميع النعم فكلها ترجع إلى إيجاد وإبقاء أولا، وثانيا فى دار الفناء والبقاء، أما الإيجاد الأول فبقوله: " **الحمد لله رب العالمين** " ، فإن الإخراج من العدم إلى الوجود أعظم تربية، وأما الإبقاء الأول فبقوله " **الرحمن الرحيم** " أى المنعم بجلائل النعم ودقائقها التى بها البقاء وأما الإيجاد الثانى والبعث فبقوله: " **مالك يوم الدين** " وهو ظاهر،وأما البقاء الثانى " الخلود " فبقوله: " **إياك نعبد**... إلى آخر السورة " ، فإن منافع ذلك تعود إلى الآخرة[2].

ثم بين البقاعى أن كل سورة من السور المصدرة بـ " **الحمد** " أشير فيها إلى نعمة من النعم التى اجتمعت فى سورة الفاتحة، فسورة الأنعام، مختصة بنعمة الإيجاد الأول لجميع العالمين، من السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما من آدمي وغيره المشار إليه فى الفاتحة بـ " **رب العالمين** "[3].

---

(١) ينظر: شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه لسعد الدين مسعود ابن عمرو التفتازانى جـ١ ص٦ ، ت، د. زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) نظم الدرر ، البقاعى جـ١ ص ٢٠ .

(٣) السابق جـ٢ ص ٥٨٠ .

والدليل على ذلك ما ورد فى مطلع السورة وأضعافها فقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنعام١،٢ .

وقوله: " **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون** " الأنعام ٣٨.

وقولــه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ الأنعام ٩٥.

فكـل هـذه الآيـات، وغيرهـا كثير فى سـورة الأنعـام متكفلـة ـ كـما يقـول البقـاعى ـ " بتفصيل نعمة الايجاد الأول "(١).

وهـذه النعمة مردها إلى قوله تعالى " **رب العالمين** " فى سورة الفاتحة.

وفى سورة الكهـف إشـارة إلى الإبقـاء الأول فـإن نظـام العـالم وبقـاء النـوع الإنـسانى يكون بالنبى والكتاب(٢).

فمقتضى الحمد فى سورة الكهف هو نزول القرآن على رسول الله (ﷺ) وذلك يكفـل بقاء الإنسان وحياته حياة مطمئنة طيبـة.

ويفتح الله (ﷻ) على البقاعى فيـذكر أن سـورة الكهـف ومـا جـاء فيهـا مـن قـصص ناطق بذلك، فإن أهل الكهف انتظم بهم أمر من اطلع عليهم مـن أهـل زمـانهم ثـم انـتظم

(١) نظم الدرر جـ٢ ص ٢٠.

(٢) السابق جـ٤ ص ٤٤١.

بالخضر (عليه السلام) كثير من الأحوال، وانتظم بذى القرنين أمر جميع أهل الأرض بما يسر له من الأسباب التى منها السد الذى بيننا وبين يأجوج ومأجوج الذين يكون بهما ـ إذا أخرجهم الله تعالى ـ فساد الأرض كلها[1].

وهذا المعني مرده إلى فاتحة الكتاب فى قوله: " **الرحمن الرحيم** " فمن رحمته ـ سبحانه ـ أنزل القرآن كتاب نور وهداية وحياة فهيأ بذلك كل أسباب بقاء النوع الإنسانى.

وفى سورة سبأ الحمد فيها على الإيجاد الثانى " **البعث** " والسورة كلها تركز على ذلك، فمقصود السورة بيان أن الدار الآخرة التى أشار إليها آخر الأحزاب بالعذاب والمغفرة كائنة لا ريب فيها، لما فى ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة[2].

وقد بدئت السورة بالدلالة الواضحة على ذلك المعنى " ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ١/ سبأ.

وتتابعت الآيات التى تحدثت عن قضية البعث والجزاء كما فى قوله تعالى: " **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم** " سبأ/ ٣، وقوله: " ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سبأ/ ٢٩، ٣٠ .

---

(١) ينظر: السابق جـ٤ ص ٤٤٢.

(٢) نظم الدرر جـ٦ ص ١٤٤.

وأظهرت السورة مشهدا من مشاهد يوم القيامة وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سبأ/ ٣١، ٣٢.

وتستمر السورة فى حديثها عن الايجاد الثانى " البعث " حتى نهايتها؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾ سبأ/ ٥١ ـ ٥٤.

بل إن " لقصة سبأ التى سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد " الإيجاد الثانى " لما فيها من الآيات الشهودية المشهودة ـ لا سيما عند العرب ـ على قدرته سبحانه على الإيجاد والإعدام للذات والصفات والتحويل لما يريد من الأحوال،والتصرف بالحكمة فى الإعطاء والمنع ابتداءً وجزاء لمن شكر أو كفر "(١).

فالسورة شغلت بالإيجاد الثانى وقدرة الله عليه وذلك يرد إلى سورة الفاتحة فى قوله: " **مالك يوم الدين** ".

(١) مصاعد النظر جـ٢ ص ٣٣٧.

أما سورة فاطر فقد اهتمت بذكر الإبقاء الثانى يوم القيامة، فمقصودها إثبات القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها تمام القدرة على البعث الذى عنه يكون أتم الإبقاءين بالفعل دائما أبدا بلا انقطاع ولا زوال أصلا ولا اندفاع فى دار المقامة التى أذهب سبحانه عنها الحزن والنصب واللغوب، ودار الشقاوة الجامعة لجميع الأفكار والهموم(١).

فقد جاء فى السورة الكريمة الحديث عن أهل الجنان والخلد فيها، وكذلك أهل النار والخلد فيها قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ فاطر ٣٢ـ ٣٥ .

فهذا هو البقاء الثانى " الخلد " لأهل الجنان، وتحدثت السورة أيضا عن البقاء الثانى لأهل النيران، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ فاطر ٣٦ـ٣٧ .

---

(١) ينظر: نظم الدرر جـ٦ ص ١٩٩.

ويتجلى الحديث فى السورة عن البقاء الثانى فى قوله تعالى: " **يزيد فى الخلق ما يشاء** " فاطر/ ١ ويبين البقاعى وجه الدلالة فى الآية على البقاء الثانى فيذكر أنه لاشئ يعدل مافى الجنة من تجدد الخلق فإنه لا يأكل منها شئ إلا عاد كما كان فى الحال ولا يراد شئ إلا وجد فى أسرع وقت فهى دار الإبداع والاختراع بالحقيقة وكذا النار " أى فيها الزيادة والتجدد " قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ النساء ٥٦ (١).

فقوله: " **يزيد فى الخلق ما يشاء** " حمله البقاعي على الآخرة وأن الزيادة والتجدد إنما يكونان فى الجنة والنار فدلل بذلك على أن الآية فيها دلالة على البقاء الثانى.

وبذلك تكون السورة دالة على الإبقاء الثانى وهذا الإبقاء الثانى مرده إلى قوله فى سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فإن الفوز بالإبقاء الثانى فى الجنة، والنجاة من الإبقاء الثانى فى النار إنما هو بعبادة الله والاستعانة به والهداية إلى صراطه المستقيم صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين والابتعاد عن أهل الأهواء والضلالات من اليهود والنصارى.

وبذلك يكون قد اتضح وجه التناسب بين سورة الفاتحة والسور الأربع الأخرى المفتتحة بـ " **الحمد** " فكل سورة اشتملت على نوع من أنواع النعم وكان مرد كل هذه النعم الدنيوية والأخروية إلى فاتحة الكتاب.

والله أعلم

---

(١) ينظر: نظم الدرر ج٦ ص ٢٠١.

المبحث الخامس
التناسب بين سورة الفاتحة
وسورة الناس

المتدبر فى كتاب الله والمحدق قلبه إلى معانيه وآياته وسوره يجد هذا الكتاب المعجز الخالد المحفوظ بعناية الله ـ سبحانه ـ يجده " من أوله إلى آخره محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوى الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض فى سورة وآياته وجمله، يجرى دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار كأنما نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته وجاء آخره مساوقا لأوله، وبدا أوله مواتيا لآخره "(١).

ويأتى هذا المبحث خير شاهد على كل ذلك وأكثر؛ فبيان التناسب بين الفاتحة أول سور القرآن فى الترتيب المصحفى، وسورة الناس آخر سور القرآن فى الترتيب المصحفى يبين روح التناسب العميقة والسارية فى كل أعطاف القرآن الكريم ولذلك كان البقاعى حصيفا أريبا عندما رأى " أنه لا وقف تام فى كتاب الله ولا على آخر سورة " قل أعوذ برب الناس " بل هى متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التى هى أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد "(٢).

فالأولية والآخرية فى ترتيب السور إنما هى أولية فى نسق التلاوة فالقرآن ذو سياق دائرى ليس له بداية لا تلتحم بشئ، وليس له نهاية ينقطع عندها.

---

(١) مناهل العرفان ، الشيخ الزرقانى جـ١ ص ٣.

(٢) نظم الدرر جـ١ ص ١٥.

ومن ثم كان التحريض النبوى لتالى القرآن الكريم أن يكون كالحال المرتحل، سئل النبى (ﷺ) أى العمل أفضل؟ قال الحال المرتحل، قيل: وما الحال المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرب من أول القرآن إلى آخره ومن آخره إلى أوله كلما حل وارتحل[١].

والبقاعى فى سبيل التناسب المحكم بين سور القرآن قام ببيان التناسب بين آخر تسع سور فى القرآن ترتيبا وأول تسع سور فى ترتيب المصحف، وجعل ذلك من باب رد المقطع على المطلع، ففى معرض كلامه عن سورة قريش يقول: " وكما التقى آخر كل سورة مع أولها، فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله، بالنسبة إلى تسع سور هذه أولها إذا عددت من الآخر إليها "[٢].

ثم أخذ يبين التناسب بين سورة قريش وسورة التوبة[٣]، والأنفال والماعون[٤] والأعراف والكوثر[٥]، والأنعام والكافرون[٦]، والمائدة والنصر[٧]، والنساء

(١) ينظر الإمام البقاعى ومنهاجه فى تأويل بلاغة القرآن د/ محمود توفيق سعد ص١٨٥، والحديث فى المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى جـ١ ص٧٥٧ ت/ مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٢) نظم الدرر جـ٨ ص ٥٣٧ .

(٣) السابق والصفحة .

(٤) السابق جـ٨ ص ٥٤٥ .

(٥) السابق جـ٨ ص ٥٥٠ .

(٦) السابق جـ٨ ص ٧٥٧ وما بعدها .

(٧) السابق جـ٨ ص ٧٦٧ .

والمسد[١]، وآل عمران والإخلاص[٢]، والبقرة والفلق[٣]، ثم الفاتحة وسورة الناس[٤] ليؤكد من خلال ذلك على تلاحم القرآن وأنه أفرغ إفراغا واحدا كحلقة مفرغة لايدرى أين طرفاها.

ومن أهم وجوه التناسب بين سورة الفاتحة وسورة الناس أن مقصود سورة الناس كما يقول البقاعى: " الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لاتكون إلا بمايشتهى .... ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذى هو المراقبة، وهى ـ أى سورة الناس ـ شاملة لجميع علوم القرآن التى هى مصادقة الله ومعاداة الشيطان وفى ذلك براعة الختام وفذلكة النظام، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول والمثل بالممثول، والله المسؤول فى تيسير السؤل وتحقيق المأمول "[٥].

ويفهم من كلام البقاعى أن أوجه المناسبة بين الفاتحة والناس راجع إلى أمرين:

الأول: أن السورتين اشتملتا على كل علوم القرآن، ففى الفاتحة براعة الاستهلال، وفى سورة الناس حسن الختام.

---

(١) نظم الدرر جـ٨ ص ٥٧٤ .

(٢) السابق جـ٨ ص ٥٩٦ .

(٣) السابق جـ٨ ص ٦٠٣ .

(٤) السابق جـ٨ ص ٦١١ وما بعدها.

(٥) السابق جـ٨ ص ٦١١ وما بعدها .

الثانى: أن سورة الناس تعليل لما جاء فى سورة الفاتحة، ففى الفاتحة إثبات الحمد لله سبحانه وفى سورة الناس علة لهذا الحمد، فالله وحده هو القادر على حفظ الإنسان من كل شرور الثقلين.

ومن أوجه التناسب بين السورتين ـ أيضا ـ أن العبد المسلم طلب من ربه العون فى سورة الفاتحة " **إياك نعبد وإياك نستعين** " فاستجاب الله دعاءه وبين له الطريق وبين له الشرائع وبين له الأحكام، وبين له كل ما يساعده فى عبادة الله وطاعته وابتغاء رضوانه ثم علمه بعد ما حمله الرسالة وأقامه على المحجة البيضاء، كيف يستعيذ بربه من الشرور والفتن التى تحيط به من كل جانب وتريد أن تنقض عليه فتفسد عليه دينه وأمانه وتحرمه من السعادة التى اختصه الله بها فكان قوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾.

وهذه الشرور ـ كما لا يخفى ـ شرور خارجية وظاهرة تقف للمسلم بالمرصاد، وتتوعده فى كل حين بالدمار والهلاك ثم تنقض عليه انقضاضا إن لم تتداركه نعمة من ربه.

وهناك شرور خافية تدب فى نفس الإنسان دبيب النعاس وهى الوساوس التى تتواثب على النفس وتسيطر عليها بحيث لا يكاد الإنسان يشعر بها فتعمل فى كيان الإنسان عملها وتجتاح دينه وأمانته إن لم يتيقظ لها، فتلك شرور داخلية علمنا الله كيف نستعيذ منها فى قوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ

ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾

وهكذا يكون المؤمن فى مأمن من الفتن كلها ويكون مأمونا فى دينه وأمانته ولا يؤتى من داخله ولامن خارجه إن لم يتوان فى الاستعاذة بربه(١).

كما أن فى الفاتحة استعانة وفى الناس استعاذة، والاستعاذة بالله ضرب من ضروب الاستعانة بالله، والبدء بالاستعانة أولى لأن " الإنسان يكون فى أول أمره بحاجة إلى الاستعانة بربه ليعرف معالم الطريق ويعرف القاصد من الجائر والقويم من الأعوج، وبعد ذلك يحتاج إلى أن يلجأ إليه ويتسعيذ به من قطاع الطريق حتى لا تفوته الغاية بعد ما عرف الطريق إليها "(٢).

فالفاتحة بينت معالم الطريق الموصل إلى أهم مطلوب وسورة الناس حصن حصين اكتنف جنبات هذا الطريق.

وبذلك يظهر كمال التناسب وقوة الاعتلاق بين فاتحة الكتاب أول السور ترتيبا، وسورة الناس آخر السور ترتيبا فى كتاب الله مما يجعلنا نخشع مليا لجلال كلام الله ـ سبحانه ـ، فالقرآن فيه من أسرار الإعجاز البيانى مالايحيط به أقلام مدادها موصول بالبحار، ولا يثبر غوره علماء ربانيين انقطعوا لذلك أعواما وأعمارا،فالأمر فى القرآن الكريم عجب " يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا ووقفت على معناه محدودا، هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد، غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة،

(١) ينظر: البرهان فى نظام القرآن د/ محمد عناية الله سبحانى ص٨٦ .

(٢) السابق ص ٨٧ .

ولذلك حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح أو محتمل للصحة كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك لرأى منها أكثر مما رأيت وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه مايسر له، بل ترى محيطا مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال "[1].

والله أعلم

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص ١٤٧ ومابعدها .

الخاتمة

الحمد لله فى الأولى والآخرة، وصلاة وسلاما على النبى المجتبى، وعلى آله وصحبه المستكملين الشرفا، وبعـــد:

فهـذا بحـث أردت مـن خلالـه تثـوير علـم المناسـبات ولم شـتات معالمـه وأركانـه، وتطبيقها على سورة الفاتحـة قاصدا بيان لحمة التناسب والاعـتلاق عـلى كـل مـستوى مـن مستويات التدبر القرآنى داعيا إلى النظر فى سور القرآن قاطبة من خـلال وجـوه التناسـب المتعددة التى أدرتها على سورة الفاتحـة، وقـد خلـص البحـث إلى عـدة نتائـج وتوصـيات، ومن أهـم النتائـج:

١- أهميـة علـم المناسـبات إذ بـرز مـن خلالـه أسرار عـدة أثـرت وجـوه الإعجـاز البيانى للقرآن الكريم.

٢- ظهـر التناسـب الواضـح بـين سـورة الفاتحـة فى ذاتهـا مـن حيـث مناسـبة أسـمائها لمقاصـدها، ومناسـبة مطلعهـا مـع مقاصـدها، والتناسـب بـين مطلـع الـسورة وخاتمتهـا، والتناسـب بـين الآيـات، كـما كـان التناسـب واضـحا جليـا بـين الفاتحـة وغيرهـا مـن الـسور ذات الـصلة بالدراسـة، وبـذلك يتـضح ضـعف رأى الشوكانى الذى عـد هذا العلم من قبيل التكلف.

٣- ظهـر مـن خـلال هـذه الدراسـة تناسـب سـور القـرآن الكـريم عـلى كافـة مـستويات التناسـب وفى ذلـك رد مكـين عـلى أوهـام المستـشرقين والحاقـدين وغـيرهم مـن الذين شككوا فى ترابط القرآن الكريم وإحكامه.

وقد خلص البحث إلى عدة توصيات

أولاً: دراسة المناسبات فى تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازى فقد اهتم ببيان وجوه عدة من وجوه المناسبات فى سور القرآن الكريم.

ثانياً: مقارنة المناسبات فى كتب التفاسير المتنوعة بماذكره علماء التناسب القرآنى كالغرناطى والبقاعى والسيوطى وغيرهم، ففى ذلك إثراء لهذا العلم ينعكس على إثراء المناسبة القرآنية.

ثالثاً: توجه الدراسات الجادة إلى تطبيق وجوه التناسب المتعددة على كل سورة من سور القرآن الكريم.

رابعاً: النظر فى مناهج البلاغة المقررة على طلاب الأزهر الشريف فى كافة المراحل الدراسية والاهتمام بالجانب التطبيقى، وتقرير مادة على طلاب المرحلة الجامعية تهتم بالبلاغة التطبيقية من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بحيث تسير هذه المادة جنبا إلى جنب مع الدراسة التقعيدية لكل مرحلة دراسية، وفى ذلك النهج تربية للذوق البلاغي عند الطالب وتنشيط لملكته الشاعرة التى تستشعر روعة الجمال البيانى فى القرآن الكريم والسنة، وكذلك فى جيد المنظوم والمنثور.

وهذا جهد المقل الذى قصدت به وجه الله (ﷻ) فما كان فيه من صواب فمن الله ـ عز وجل ـ وما كان فيه من خطأ فمن نفسى ومن الشيطان وحسبى أنى اجتهدت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة ٢٨٦.

اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

١- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره د/ عمر إبراهيم ، دار طيبة للنشر، الرياض ، بدون.

٢- الإتقان فى علوم القرآن ، السيوطى ت. أ/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق ، ط ١٤٠٧هـ.

٣- الأساس فى التفسير ، الشيخ سعيد حوى ، دار السلام الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٤- أسماء سور القرآن وفضائلها د/ منيرة الدوسرى٠ دار ابن الجوزى٠ طبعة أولى ١٤٢٦هـ٠

٥- إعجاز القرآن د/ عبد الكريم الخطيب ، دار الكتاب العربى ، بدون .

٦- الإمام البقاعى ومنهاجه فى تأويل بلاغة القرآن ، د/ محمود توفيق سعد، مكتبة وهبة ، ط أولى ١٤٢٤هـ .

٧- الإيضاح٠ الخطيب القزوينى ، ت٠د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الجيل بيروت .

٨- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ت. أ/ عماد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٩- بدائع الفوائد لابن القيم ت. أ/ سيد عمران، وأ/ عامر صلاح ، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

١٠- البرهان فى ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطى ت . أ/ محمد شعبان نشر وزارة الأوقاف المغربية ، بدون .

١١- البرهان فى علوم القرآن ، الإمام الزركشى، ت. أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، بدون .

١٢- البرهان فى نظام القرآن د/ محمد عناية الله سبحانى ، دار الكتب طبعة أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٣- التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ط ١٩٩٧م٠

١٤- تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبى السعود العمادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.

١٥- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة١٩٩٠م.

١٦- تناسق الدرر فى تناسب السور، السيوطى، ت. د/ عبد القادر أحمد عطا دار الكتب العلمية، بدون.

١٧- جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، الطبرى، مطبعة الحلبى الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٨- الجامع الصحيح ، الترمذى ، ت . أ/ أحمد شاكر ، دار الحديث القاهرة.

١٩- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى، دار الريان للتراث القاهرة، بدون.

٢٠- جواهر البيان فى تناسب سور القرآن لأبى الفضل عبد الله الغمارى الحسنى مكتبة القاهرة، بدون .

٢١- حلية الأولياء، لأبى نعيم ، دار الكتاب العربى ، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.

٢٢- دراسات منهجية فى علم البديع ، د/ الشحات أبو ستيت ، دار خفاجى للطباعة والنشر ط أولى ١٩٩٤م .

٢٣-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ت. الشيخ/ محمود شاكر مكتبة الخانجى، ط الخامسة ٢٠٠٤م .

٢٤- زهرة التفاسير، الشيخ / أحمد أبو زهرة،٠ دار الفكر العربى ، بدون .

٢٥- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين أ/ عبد المتعال الجابرى، مكتبة وهبة.

٢٦- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه ، سعد الدين مسعود ابن عمرو التفتازانى ت .د/ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية، بيروت ط/ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٢٧- صحيح البخارى ، الإمام البخاري ، ت. د/ مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط الثالثة .

٢٨- صحيح مسلم ، الإمام مسلم ، أ/ محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٢٩- الصناعتين لأبى هلال العسكرى ت. د/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٣٠- العزف على أنوار الذكر، د/ محمود توفيق سعد ، مكتبة وهبة طبعة أولى ١٤٢٤هـ.

٣١- غرائب التفسير وعجائب التأويل لابن حمزة الكرمانى ت. د/ شمران العجلى مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، بدون .

٣٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، الإمام نظام الدين النيسابورى، ت. الشيخ/ زكريا عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٣٣- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن على الشوكانى، دار الفكر ، بيروت .

٣٤- فى ظلال القرآن ، الشيخ / سيد قطب، دار الشروق، ط الرابعة والعشرون ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٣٥- القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأسيره، لبلاشير، ترجمه / رضا سعادة دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ط أولى ١٩٧٤م .

٣٦- قطف الأزهار فى كشف الأسرار ، السيوطى ت . د/ أحمد بن محمد الحمادى ، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، طبعة أولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٣٧- قاموس القرآن " إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم " الفقيه المفسر / الحسين بن محمد الدامغانى، ت .أ/ عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط الثالثة ١٩٨٠م .

٣٨- لسان العرب لابن منظور ، ط دار صادر بيروت ، بدون .

٣٩- المجتمع المثالى كما تنظمه سورة النساء أ/ محمد محمد المدني ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بدون .

٤٠- مجلة المجلة ، عدد ذى الحجة ١٣٧٦هـ/ يولية ١٩٥٧م .

٤١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين .

الإمام ابن القيم الجوزى ت. أ/ عماد عامر ، دار الحديث ، القاهرة.

٤٢- مراصد المطالع فى تناسق المقاطع والمطامع ، السيوطى ت د/ عبد المحسن العسكر، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ط أولى ١٤٢٦هـ .

٤٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابورى ت. د/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٤٤- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعى ت. د/ عبدالسميع محمد أحمد ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط أولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٤٥- معترك الأقران فى إعجاز القرآن ، السيوطى ت. أ/ أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ١٩٨٨م .

٤٦- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ت. أ/ شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر العربى ، بيروت ، ط ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٤٧- مفاتيح الغيب، الفخر الرازى، دار إحياء التراث العربى بيروت ط الثالثة.

٤٨- المفردات فى غريب القرآن ، الراغب الأصفهانى ت. أ/ وائل أحمد عبد الرحمن المكتبة التوفيقية .

٤٩- من أسرار التعبير القرآنى فى سورة الأحزاب د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ط الثالثة ١٤١٦هـ .

٥٠- مناهل العرفان فى علوم القرآن ، الشيخ/ محمد الزرقانى ، دار الكتاب العربى ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٥١- الموافقات فى أصول الشريعة٠ الإمام أبو إسحاق الشاطبى ت. الشيخ/ عبد الله دراز ، المكتبة التجارية الكبرى ، بيروت.

٥٢- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، البقاعى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١٩٩٥م .

٥٣- النكت والعيون " تفسير الماوردى " لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى، ت. أ/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .

٥٤- وحى الرسالة أ / أحمد حسن الزيات ، دار الثقافة ، بيروت، طبعة السادسة ١٩٧٣م .

فهرست الموضوعـــات

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمـــة	١١٩٥
التمـــهيد	١١٩٩
الفصـل الأول	١٢١٥
وجــوه التناسب الداخلية فى سورة الفاتحـة	١٢١٥
المبحث الأول: التناسب بين اسم السورة ومضمونها	١٢١٨
المبحث الثانى: التناسب بين مطلع السورة ومضمونها	١٢٢٦
المبحث الثالث: التناسب بين آيات الســورة	١٢٣٢
المبحث الرابع: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها	١٢٤٠
الفصـل الثاني:	١٢٤٣
وجــوه التناسب الخارجية فى سورة الفاتحة	١٢٤٣
تمهـــيد	١٢٤٥
المبحث الأول: التناسب بين سورة الفاتحة والقرآن الكريم كله	١٢٤٦
المبحث الثانى: التناسب بين سورة الفاتحة والقرآن المكــى " الفاتحـة فى سياقها النزولـــى "	١٢٥٠

المبحث الثالث: التناسب بين سورة الفاتحة وسورة البقـرة	١٢٥٦
المبحث الرابع: التناسب بين سورة الفاتحة والسور المفتتحة بـ " الحمـد لله "	١٢٦١
المبحث الخامس: التناسب بين سورة الفاتحة وسورة الناس	١٢٦٩
الخاتمـــــة	١٢٧٥
فهرست المصادر والمراجع	١٢٧٧
فهرست الموضوعـــات	١٢٨٣